

دراسات في العامية

الدكتور عون الشريف قاسم

12/11

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقدِّمة

هذه دراسات عامة حول العامية العربية ومكانها من ثقافة الامة العربية وشخصيتها مع التركيز على جوانب من احداها وهي عامية السودان قصدت منها أن تكون مدخلا لدراسات تفصيلية في العاميات العربية عامة وعامية السودان خاصة .

وقد تساءل بعض الناس عن جدوى مثل هذه الدراسات ورأى فيها بعضهم دعوة الى نبذ العربية الفصيحة وتشيت وحدة العالم العربي بأن ينكفىء كل قطر عربي على لهجته فتفقد العربية سلطانها كأداة مشتركة للتفاهم . وقد فات هؤلاء أن دراسة العاميات في العالم العربي ومقارنتها ببعضها بعضا أدى للتقارب في مجال التفاهم الشخصي مما يدعم رابطة الفصحى ويوسع من دائرتها .

وليس الغرض من هذه المجهودات ابراز العامية كبديل للعربية الفصيحة فهذا ما لم يخطر لنا على بال ، ولكن الهدف الاساسي هو التعرف على اللهجة العامية بردها الى أصولها وتحليل جذورها حتى نستطيع أن نعرف عن أنفسنا أكثر مما نعلمه الآن . انها - في مجال العامية السودانية - عملية مسح فكري وثقافي لازمة كمقدمة لأي دراسة جادة عن المجتمع السوداني في بيئاته المتباينة .

عون الشريف قاسم

وزارة الشؤون الدينية والاوقاف

الخرطوم في ٣٠ / مايو / ١٩٧٢

الفترة وشخصية الأمة

للعاميات قدرة على التشكل بالبيئات التي تحل بها لا تيسر للفصحى . وهذا ناجم من أن الفصحى لغة الدين والثقافة والفكر وكل ذلك يفرض عليها القيود ويحصرها في اطار من التقيد والتقنين لا تستطيع منه فكاكا - مثل غيرها من اللغات لنموذجية - الا في أضيق الحدود . ومن هنا جاءت الحاجة لوسيلة تعبيرية أكثر طواعية وأقدر على تلبية حاجات الناس العابرة فكان هذا الازدواج اللغوي الذي نراه في حياتنا : لغة فصحي تتعامل بها في مجال الثقافة والفكر ولغة عامة تفاهم بها في شؤون دنيانا . وهذه الثنائية في اللغة العربية ليست حديثة اهد ولم تنشأ بخروج العرب من جزيرتهم الى الاقطار التي استقروا فيها بالاسلام ، بل هي ظاهرة قديمة كانت قائمة في حياة العرب حتى قبل بروز هذه العربية الفصحى التي نشأت في فترة متأخرة من الجاهلية الاخيرة تحت تأثير عوامل حضارية وثقافية معروفة فجاءت الفصحى خليطا من لهجات كثيرة مراصة بانتقال العرب من مرحلة البداوة والترحال الى مرحلة الحضارة والاسرار معبرة عن توحيد فكري وثقافي وديني واجتماعي بدأ ينظم حياة العرب وبلغ غايته بظهور الاسلام . وكان دور قريش في كل ذلك التطور بارزا وحسنا . فهي بحكم مركزها التجاري المشهود كانت رائدة التحول الاجتماعي وكان نشاطها في طول الجزيرة وعرضها نقطة تحول هامة في حياة العرب واية لانتقالهم من اسار اقتصاد البداوة المتخلف الى رحاب اقتصاد التجارة المتقدم ، وتبع ذلك تحولات كبيرة في المجال العقلي والفكري فتوحدت ديانة أو كادت حول الكعبة في مكة مدينة قريش وتوحدت لغة الادب والكر ودارت في فلك لهجة قريش وجاء الاسلام بقرآنه وطقوس

عبادته ليؤكد كل ذلك ويسير به الى غاية من توحيد العرب فكريا ودينيا ولغويا.
وكان لكل قبيلة لهجاتها الخاصة المتسيرة والواضح ان الخلافات بين هذه
اللهجات العربية كانت خلافاً شكلية في معظمها ومن ثم سهل على العرب فهم
القرآن الذي نزل باللغة النحوية المصفاة . وهذا التقارب بين اللهجات ناجم
من تقارب سكنى القبائل داخل جزيرة العرب وعدم اختلاطها بغيرها من
الشعوب لقرون طويلة قبل الاسلام . ولعل هذه الصلة القوية بين العربية
الفصحى ولهجات القبائل الى جانب عوامل أخرى هي التي حالت دون تفتت
أواصر القربى بينها رغم بعد الشقة التي أصبحت تفصل بينها بحكم انتقال
العرب خارج جزيرتهم الى الامصار المعروفة بعد الاسلام . ولو لا هذا لكان
من الممكن أن يصيب اللغة العربية ولهجاتها ما أصاب اللاتينية مثلاً التي
أصبحت مسافة الخلف بينها وبين لهجاتها من البعد بحيث تلوّرت كل لهجة
منها الى لغة مستقلة كما تشهد بذلك اللغات الاوربية الحديثة من فرنسوية
واسبانية وطيانية وغيرها .

ولكن الصلة القوية التي كانت تربط بين الفصحى واللهجات داخل جزيرة
العرب ما كان من الممكن ان تستر على قوتها تلك رغم حيوة العنصر الديني
الذي يرجع اليه أكبر الفضل في المحافظة على الفصحى وعلم وصلها باللهجات
في الامصار . فقد تزعزعت اللهجات ذاتها بتفرق المتكلمين بها في الاقطار ،
وبالتقاء مجسوعات مختلفة من القبائل في الرقعة الواحدة كات المحافظة على
لهجة بعينها والحيولة بينها وبين التأثير والتأثير بغيرها من اللهجات العربية
واللغات الاخرى أمراً بعيد المنال . ثم ان كل هذه اللهجات العربية واجهت
ظروفاً حضارية وثقافية وجغرافية جديدة مختلفة عن ظروف نشأتها في جزيرة
العرب وكان لا بد لها أن تدخل في صراع جبار مع كل هذه العوامل الجديدة
حتى تتأقلم في بيئتها الجديدة وتضرب بجذورها في الارض الرية . ومن هنا
تلونت اللهجات العربية الوافدة بألوان البيئات الجديدة ، وكان ها التلون

يختلف قوة وضعفا باختلاف العوامل الحضارية التي تحكمت في الموقف اللغوي
وأملت تطور اللهجة .

ودراسة اللهجة العامية بحسبانها خارطة حضارية أمر عظيم الاهمية لما
يلقيه من ضوء على كثير من السمات الانسانية والثقافية التي ازدادت بها
الثقافة العربية نراء في بيئاتها الجديدة . والواقع ان هذه الثقافة العربية قد
تطورت في كل المناطق التي استقر فيها العرب بتطعيمها بالثقافات والحضارات
المحلية التي لم تستطع مقاومة الوافد الجديد فذابت في أحشائه وأمدته بروافد
من القوة جديدة . وقد بلغ تحول هذه الثقافة في بيئاتها المختلفة مبلغاً من
التفرد والحيوية ينم عنه تفرد الشخصية العربية في بيئاتها الجديدة المنفردة .
فهذه الشخصية العربية سواء أكانت سودانية أو مصرية أو عراقية أو مغربية
أو ما إليها تلونت في بيئاتها الخاصة بألوان حضارية وثقافية وبشرية أكسبتها
السمات المميزة التي تبينها الآن في البلاد العربية المختلفة . وكانت هذه
الشخصية تتشكل وتتحوّل تحت ظروف سريعة التغير تسليها مقتضيات الصراع
بين الثقافة الوافدة والثقافات المحلية . واللغة الفصحى بحكم طبيعتها المحافظة
لا تسعنا كثيراً في تصور النقلة الكبيرة التي انتقلت بها الثقافة العربية وبالتالي
الشخصية العربية في بيئاتها الجديدة . والعامية التي لازمت كل هذا التطور
وصورت منمرجاته المختلفة السريعة منها والبطيئة بحكم طواعيتها وقدرتها على
الحركة في مرونة ويسر ، هذه العامية الشديدة الحساسية لكل تحول يطرأ على
حياة الناس هي بلا شك مفتاح كل دراسة لتطور الشخصية العربية في بيئاتها
الجديدة . وليس في هذا غرض من شأن الفصحى التي كانت تشل الى حد ما
عنصر الثبات والاستقرار في حين كانت العامية تشل عنصر التحول والتغير .
وقد أسلفنا القول في أن الصلة القوية التي تصل بين الفصحى ولهجاتها هي
صمام الامان يحفظ ميزان التعادل بين محافظة الفصحى وتصلبها ومرونة
العامية وعفويتها بحيث أمكن أن يكون هناك تنوع واختلاف في الشخصية
والثقافة في اطار وحدة اللغة والثقافة والدين . وقد كان هذا هو العاصم من

انفراط عقد الامة العربية رغم كافة الضغوط والسيارات والمؤثرات التي تعرضت لها في بيئاتها المختلفة •

ولعله لهذا السبب واجه الفشل كل المحاولات التي سعت لاحتلال العامة محل الفصحى لان الذين نادوا بذلك يجهلون طبيعة اللغة العربية ويجهلون صلتها بالعواميات ويجهلون هذا الميزان الدقيق بين عنصر الثبات وعنصر التغير لا في اللغة العربية فحسب بل في الشخصية العربية أيضا • اذ أن هذا الميزان اللغوي انعكاس لظاهرة بشرية حضارية تتمثل في تنوع النماذج العربية في البيئات المختلفة واختلافها في كثير من التفاصيل ولكنه تنوع لا يحول دون الالتقاء واختلاف لا يقف في سبيل التوحيد ، فالجميع لا يخلجهم شك في انتمائهم الى منبع حضاري وبشري واحد يجد كل فرد صداه في نفسه وصورته في حياته • ولعله لهذا السبب سعى المستعمرون في محاولتهم لتفتيت وحدة الامة العربية والاسلامية وتحطيم تراثها الى اقناع أجزاء من الامة العربية والاسلامية بالرجعة الى ما وراء الاسلام والعرب وذهبوا الى أن عظمة هؤلاء الاقوام الحقيقية ليست في العروبة ولا في الاسلام وانما هي فيما وراء ذلك • فشجعوا الدعوة الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والقرطاجية في تونس والبربرية في المغرب والطورانية في تركيا والساسانية في ايران وما الى ذلك من نعات • وشفعوا تلك الدعوة بدعوة أخرى الى استخدام الحرف اللاتيني بدلا من الحرف العربي هادفين من ذلك الى بتر القوم من تراثهم الديني والثقافي - وقد نجحوا في تركيا التي كانت تكتب لغتها بالحروف العربية ولكنها استبدلت بها الحروف اللاتينية بعد الثورة الكسالية •

ولكن دحض افتراءات المستعمرين ودفع حججهم الواهية قد يؤديان الى موقف فكري لا يقل خطرا عن الموقف الذي سعى الاستعمار ودعاة الفرقة الى التسكين له • فكثيرا ما اندفع المتحمسون لوحدة العرب ولوحدة المسلمين الى اغفال التنوع في اطار الوحدة الذي أسلفنا القول فيه • وهذا الاغفال لا ينجم

عنه الا طمس معالم الشخصية البشرية والغاء دورها المتفرد وبالاختصار محو مصدر أصالتها وإبداعها • فكما أن الجسد الحي يتكون من أجزاء متخصصة ومتفردة بحكم مواقعها ووظائفها وكل منها يؤدي عملا مختلفا الا أن جسام جهودها يؤدي الى غاية واحدة هي مصلحة الكائن الحي فكذلك الامر في حياة الامم والشعوب • والشعب العربي يتكون من خلايا متفردة كل منها يؤدي وظيفة متفردة بحكم الموقع والظروف والبيئة ولكنها جميعا تتجه الى غاية واحدة هي اثراء التراث العربي ولن يتأتى هذا الاثراء الا بالتأصيل الحق والتعبير الصادق عن الذات المتفردة •

والواقع ان هذا التنوع في اطار الوحدة ليس أمرا عارضا في حياة العرب اذ هو قديم فيهم حتى حين كانوا داخل شبه جزيرتهم وحين خرجوا في الفتوح الى الامصار • فقد كان للحجاز شخصيته المتفردة وأدبه المتفرد ولهجته المتفردة وكان للعراق مثل ذلك وكان للشام مثل ذلك أيضا • بل ان مدينتين في نفس المنطقة كالبصرة والكوفة كان لهما شخصيتاهما المتفردتان • والتنافس بين الاقاليم والمدن باب واسع في أدب العرب • ويكفي أن نذكر هنا ما قاله زاذان فروخ الفارسي للحجاج حين سأله عن العرب والامصار ، فقال : « أهل الكوفة نزلوا بحضرة السواد فأخذوا من ضيافتهم وساحتهم • قال : فأهل البصرة ؟ قال : نزلوا بحضرة الخوز فأخذوا من مكرهم وبخلهم • قال : فأهل الحجاز ؟ قال : نزلوا بحضرة السودان فأخذوا من حكمة عقولهم وطربهم • فغضب الحجاج ، فقال له زاذان : أعزك الله لست حجازيا انما أنت رجل من أهل الشام نزلوا بحضرة الروم فأخذوا من ترفقهم وصناعتهم وشجاعتهم » •

ولا شك أن تشتت العرب في ديارهم الجديدة كان أبعد مدى مما كان عليه الحال بعد الفتوح مباشرة • وكان اختلاطهم بغيرهم من الشعوب والثقافات سبيلا الى اكساب الشخصية العربية أبعادا وسعات تتباين بتباين البيئات والازمان • وتحليل هذه الشخصية العربية في بيئاتها المختلفة والعوص في أعماقها

اللغة والثقافة

الحديث عن اللغة لا ينفصل عن الحديث عن الثقافة وكلاهما متصل أوثق الاتصال بالحديث عن الحضارة . وأنا لا أود في هذا الحديث أن أخوض في تحديد الفروق الدقيقة بين ما هو ثقافة وما هو حضارة ويكفي أن أشير الى أنني أقصد بالحضارة مفهوما شاملا كالذي يقصده المتحدث حين يتحدث عن الحضارة الغربية مثلا وأقصد بالثقافة مفهوما أضيق كالذي نرمي اليه حين نتحدث عن الثقافات الوطنية التي تشملها الحضارة الغربية كالثقافة الانجليزية أو الالمانية أو الفرنسية أو غيرها من الثقافات الأخرى في الغرب . الحضارة اطار عام والثقافة شريحة مما يشتمل عليه الاطار وقد تضافرت عليها ظروف الزمان والمكان فطبعتها بطابعها المميز .

وهذا التفريق بهذه الطريقة مفيد لانه يوضح الصلة الحية بين عمومية الحضارة وخصوصية الثقافة . وبمقتضاه نستطيع التمييز بين الثقافات المختلفة في اطار الحضارة العربية الاسلامية . فهذه الحضارة اطار تاريخي شامل يضم اهابه عناصر فكرية واجتماعية ودينية محددة وهي في كثير من جوانبها ذات طابع مثالي بمعنى أنها لا تكتفي برسم الواقع التاريخي المعاش فحسب بل تسعى الى تحقيق مجتمع نموذجي فاضل تتبين أطرافا واضحة من صورته في القرآن الكريم والسنة الشريفة . والانسان يستطيع أن يميز هنا بين الاسلام الرسمي وبين الاسلام التاريخي . أي بين نموذج الاسلام كما هو منصوص عنه في مصادره وبين الاسلام كواقع تاريخي معاش . وقد يذهب الانسان أبعد من ذلك ويميز بين الاسلام كما يبدو في دوائر العلماء والمثقفين من أئمة المذاهب

أمر وان بدا في ظاهرة مناقضا لفكرة الوحدة العربية الا انه في الواقع سبيل البعث العربي الجديد الذي يهدف الى الاصاله والابداع الفردي ليرفد مجرى النهر العام بالعطاء ويمد الجسد الكبير بفيض من الغذاء والقوة . ولا خوف على الناس من النكوص أو الانسلاخ من اتسائهم الكبير من جراء انكبابهم على تفهم ذاتهم والبحث في أعماقها عن مصادر القوة والاصالة لوجودهم فان هناك كما قلنا عاصما لهم من الانزلاق في متاهات مجدبة قاحلة ينبت الناس فيها عن تراثهم وجذور بقائهم . فان البحث عن الذات يبدأ وينتهي بهذا التراث العربي الاسلامي ، ولكنه تراث عربي واسلامي يتشكل تشكل قطعة الماس وهي تتوهج باختلاف الزوايا التي ينطلق منها الضوء أو ينظر منها الناظر .

وهذه الشخصية بنية حية دقيقة النسيج تعاورت عليها ظروف تاريخية وثقافية وبشرية وتفاعلت معها وصقلتها وانتهت بها الى ما نراه اليوم في أقطار العروبة المختلفة وقد ذكرت آنفا ان مفتاح هذه الشخصية هو لسانها العامي فمن خلال دراستنا للظاهرة اللغوية تبين العناصر الكثيرة التي دخلت في تشكيل النسيج الدقيق للشخصية الاقليمية .

وعلماء الكلام من أصحاب الفرق والقضاة والمجتهدين وبين الاسلام كما يبدو في حياة العامة ودهماء الناس . فالاسلام الرسمي نموذج مثالي سعى العرب والمسلمون في عهودهم المختلفة لوضعه موضع التنفيذ في حياتهم وهذه المحاولات الدائبة للاقترب من المثال هي الاسلام التاريخي . والحضارة الاسلامية في عسومها هي الاطار العام الذي يضم دوران فكرة الاسلام عبر الزمان والمكان . وقد بلغت هذه الحضارة قمة فكرية سامقة على عهد المأمون وتركزت بعده معظم الافكار الاساسية في الفكر الديني والسياسي والاجتماعي الى جانب العطاء العقلي الثري في حقل العلم الطبيعي والفلسفة . هذه هي الحضارة العربية الاسلامية في صورتها الرسمية . لكن ما يترسب منها في نفوس الناس وأرواحهم ويتفاعل مع ظروف حياتهم المتغيرة المتطورة - وهو ما أعنيه بالثقافة - يختلف باختلاف الازمان والمناطق .

ويستطيع الانسان هنا أيضا أن يميز بين الثقافة الرسمية والثقافة الشعبية . اذ ان كل جيل وكل مجموعة تأخذ من الثقافة الرسمية المتوارثة ما يتلاءم وظروفها وامكاناتها . فالثقافة الشعبية هي ما تتسله شخصية الجباعة من الثقافة الرسمية فيترسب في وجدانها ويصبح جزءا من اللاشعور الذي يوجه حياتها الخاصة والعامة وهو الذي ينسج الامة أهم مقومات شخصيتها . والواقع ان كل القيم الاساسية التي تكفل للمجتمع الرسوخ والثبات تدخل في عملية الهضم الثقافي هذه .

ولعل أخص خصائص هذه الثقافة الشعبية أنها تطويع للثقافة الرسمية لتلائم الظروف المحلية التي انتقلت اليها . وهذا التطويع لا يقف عند حد اللغة بل يتسع مداه ليشمل كل مظاهر الثقافة الاخرى وعلى رأسها الدين . والواقع ان مفهوم الدين ومظاهره في العقل الشعبي تختلف اختلافا واضحا في طول العالم الاسلامي وعرضه عن المفهوم النودجي الرسمي . والسر في هذا الاختلاف يكمن في عملية التطويع التي أشرنا اليها . فان الاسلام حين دخل

هذه الاقطار لم يدخل أقطارا مجردة عن الفكر الديني في أي صورة من صورته المختلفة بل دخل وهذه الاقطار تمج باختلاف الاديان والنحل ودخل في صراع معها فأبادهها على المستوى الرسمي كما فعل مع المسيحية والوثنية في السودان وأصبح الدين الرسمي فيه . ولكن الامر يختلف كثيرا على المستوى الشعبي فان كثيرا من المفهومات القديسة والطقوس المباداة على المستوى الرسمي قد اختلطت بالدين في أذهان العامة . والانسان ليس في حاجة الى أن يذكر أن طغيان العنصر الصوفي والاهتمام البالغ بكرامات الاولياء والتركيز على النوبة والطار والذكر وما الى ذلك من مظاهر الدين الشعبي في السودان لا تفسر بالاختلاف الكبير الذي قام في الاسلام بين الفقهاء والمتصوفة وحده . فان هناك في التراث الموروث ما جعل هذه المظاهر الصوفية تستقر أكثر من غيرها في وجدان الشعب .

وهكذا يستطيع الباحث المدقق أن يقارن بين ما حدث في بيئته وما يحدث في البيئات الاخرى ليرصد الفروق ويحلل أوجه الخلاف ويردها الى أصولها ومصادرها وبذلك يرسم خارطة دقيقة للعقل الشعبي في شتى مجالاته الحيوية . ومثل هذا العمل يحتاج الى أجيال عديدة تجمع التراث وتصنفه ثم تدرسه وتحلله . واذا أعوزتنا حتى الآن المادة الوافية عن مظاهر الثقافة الشعبية في السودان كما تتسل في الفنون المختلفة والاساطير والطقوس وما اليها فأننا واجدون في دراسة لغة الشعب مجالا واسعا - وان لم يكن شاملا - تبيين فيه بعض جوانب هذا العقل الشعبي كما يجلوها لنا اللسان الشعبي . وأهمية هذا اللسان في دراسة الظاهرة الثقافية لا تحتاج الى بيان . فهو بمثابة الوعاء أو القالب للموروث الثقافي وهو في ذلك يعكس كل تطور أو تغيير يطرأ على حياة الناس العقلية والاجتماعية . ويكفي أن نذكر هنا أن كل الفروق التي تحدثنا عنها في بداية هذا الحديث الخاصة بالحضارة والثقافة وتبميزنا بين ما هو رسمي نموذجي وما هو تاريخي شعبي منها نلاحظ صورة مشابهة له في مجال اللغة . فهناك اللغة الرسمية النودجية ولكنها حين انتقلت الى البيئات المختلفة

تفاعلت مع الظروف الجديدة واصطبغت بألوان متباينة فخرج لنا هذا الحشد من اللهجات العامية الدارجة في العالم العربي . وكانت كل لهجة منها صورة حية لعملية التأقلم التي تطوعت بقتضاها الثقافة العربية واللغة العربية لتلائم الظروف المحلية الجديدة .

والواقع ان التطور الذي أصاب اللغة العربية في السودان لا يسكن تفسيره كله بالرجوع الى الأصول العربية وحدها ، بل لا بد فيه من الاعتداد على كثير من المصادر القديمة التي لم تيسر لدارسينا في صورة مكتملة حتى الآن . فمن الواضح ان اللغة العربية قد دخلت في صراع كبير مع عدد لا يحصى من اللغات ورواسب اللغات في السودان القديم وتأثرت في أصواتها ومعانيها بها فالى جانب اللغات النيلية والزنجية المجهولة لدينا حتى الآن كانت هناك اللغات الحامية المختلفة ك لغات البجا ولغات النوبة القديمة وبقايا اللغات المندثرة كالمروية والفرعونية والقبطية بجانب لغات حضارية أخرى كاليونانية . ومن الواضح أن أثر اللغة اليونانية قد برز بوضوح في صلب اللغة عن طريق اللغة الفصحى أي مع دخول العرب اذ ان كثيرا من الالفاظ اليونانية المعهودة لدينا الآن معروفة في اللغة العربية كالموخيا والمنخوليا وما إليها ، الا ان هذا التطور الاخير مسبق بتأثير ليونانية قديم في السودان اذ أن اليونانية كانت لغة الدين المسيحي في الممالك المسيحية المعروفة في السودان ومن الشواهد على هذا التأثير القديم اسم الطائر المشهور بأمر قيردون فهذه اللفظة يونانية الاصل . ومثلها لفظة الكورة الدالة على ذلك الزواج الجساعي المعروف لدينا الآن . فهذه لفظة يونانية قديمة أخذتها النوبة عن اليونان وتعني في الاصل « احتفال العذراء » . وأهمية مثل هذه اللفظة لا تقف عند معرفة مصدرها اللغوي القديم فحسب بل تشير الى عرق الموروث الثقافي وامتداده عبر الزمن . اذ من الواضح ان احتفال الزواج هذا الذي يلجأ اليه المواطنون في قرى السودان كحركة اصلاحية غرضها محاربة غلاء المهور وتكاليف الزواج الباهظة كان في الاصل القديم احتفالا دينيا خاصا بالسيدة مريم العذراء ولا ندري ان كان له علاقة بالزواج كما اتنا لا ندري ان كان أهالي السودان في تاريخهم الطويل

قد ظلوا يحافظون على هذه العادة بعد انتهاء المسيحية . ولكن الامر المؤكد ان العقل الشعبي ظل يحتفظ بالاحتفال القديم ولم يستنكف من الاستفادة منه حين دعت الضرورة اليه بعد ان حور مدلوله ليلائم الظروف الجديدة .

وليس هناك من شك في أن الاثر الفرعوني والقبطي سواء أكان في عادات الناس أو لغتهم أثر بالغ القدم ولم يأت مع تدفق موجات المهاجرين من الشمال في العصور الحديثة . ولعل كثيرا من المصطلحات الخاصة بالنيل والزراعة من مخلفات هذه اللغات المصرية في لغاتنا النوبية . ويكفي ان نذكر في هذا المجال ألفاظا مثل الدميرة والمسور والشيسة وأساء الرياح التي يعرفها النوبية كالطياب والمريسي دلالة على الريح التي تهب شمالا والتي تهب جنوبا . والواضح أن مملكة المريس التي كانت في جنوب مصر وشمال السودان قد أخذت اسمها من هذه اللفظة وهي في أصلها الفرعوني ماريس بمعنى قبلي أو جنوبي أو آت من جهة الصعيد . فهي بالنسبة لسكان شمال مصر مملكة الصعيد . ولا يزال أهالي شمال السودان يشتقون من هذه اللفظة لفظة مرساب اذ يقولون « البحر مرساب » أي ضئيل الفيضان . وفي كثير من أجزاء النيل يتحدث السكان عن المريس ويعنون القطعة من النهر المنفصلة عن بقيته تنعثر فيها المراكب الشراعية ، ويقولون « ترست المراكب » تعثرت هكذا . ولا علاقة للفظه المريسة الدالة على المشروب المعروف بهذا الاصل الفرعوني اذ هي من المريس العربية والمريس كل ما مرسته (أي نقعته في الماء ومريته باليد حتى تتحلل أجزاؤه) في الماء من التمر والماء .

وكثيرا ما يوقع مثل هذا التشابه في أصول الالفاظ في أخطاء جسيمة خاصة اذا كان صوت الكلمة ومعناها قريبا من الاصل العربي فكلمة الاجواد المشهورة والتي تجمع على أجاويد وتعني من يتوسطون بين المتنازعين ويسعون لرأب الصدع قد يتبادر الى الذهن ان أصلها الجود لان من يقوم بهذه المهمة لا بد أن يكون كريم النفس . وقد قال الحارثي يمدح : بعرفك كنت تقوم في حجازة

واجوادية • والواقع ان الكلمة ليست من الجود في شيء وانما هي نوبية الاصل
مكونة من مقطعين أولهما اج بمعنى مختلف وواد بمعنى الفاصل والمعنى العام
الذي يفصل بين المتنازعين • ومثلها لفظة عرق الدالة على تيار النهر الشديد
فهي من النوبية أر (بتشديد الراء وكسرها) والقاف الاخيرة هي حرف المفعول
التي تلحق بكثير من الالفاظ النوبية وتشير في وضوح الى أصلها • ومثلها
كلمة الدقيق لذلك البلح الضامر الذي توقف نموه فهي لفظة نوبية أصلها دقي
التر غير الناضج ودقيق صيغة المفعول • ولا علاقة لها بالفعل دقق العربي •
ومثل ذلك يصدق على كثير من الالفاظ البجاوية الاصل فنحن حين نقول
« فلان سكت تم » أي صمت صمتا مطبقا فان لفظة تم ليست من التمام وانما
هي لفظة بجاوية تعني الصمت ومثلها في ذلك لفظة الدعاش لرائحة المطر
المشهورة ولفظة التبس للنبات ولفظة الدبس للورم المعروف فكل هذه ألفاظ
بجاوية • وحتى لفظة العفرت بمعنى الدخان قبل أن يصير سحابا ليست من
كلمة عفريت العربية وانما هي بشارية الاصل بمعنى السحاب والغيمة • والامثلة
على ذلك كثيرة •

ومن الظواهر التي تسترعي النظر في مجال التكون اللغوي ذلك التمازج
الذي يحدث بين الالفاظ العربية وغيرها وقد يكون المقطع او الجزء العربي
الاصل قد اختفى من اللهجة كلفظ مستقل ومثل ذلك لفظة القرب بمعنى
الخاصرة التي لا نجدها هكذا في العامية ولكننا نجدها متصلة بالمقطع البجاوي
آب الدال على النسبة في لفظة القرباب الدالة على التنورة المعروفة • وقد نجد
في بعض الاحيان الصيغتين معا وفي ذلك مافيه من الدلالة على اختلاف التأثير
في المناطق المتباينة • فالناس في معظم أنحاء السودان يعرفون لفظة الكتراة
الدالة على رائحة الشواء وما اليه وهي مكونة من لفظة القطار الفصحى بنفس
المعنى زائدا المقطع البجاوي آب • ولكن لفظة القطار معروفة بصيغتها الفصحى
ومعناها في غرب السودان • ولا يعني هذا أن غرب السودان لا يعرف الكلمات
المتأثرة بهذا المقطع البجاوي فان انتشار هذا المقطع في بوادي السودان وقراه

وحواضره من الاتساع بحيث لا تكاد تسلم منه أي لهجة قبلية من لهجات
المتحدثين بالعربية في السودان ويكفي أن نذكر ان لفظة دك لاذلال الخصم
معروفة في الفصحى وفي عامية وسط السودان • قال العبدلابي : تور المدعكة
بقة عقود السم ويعني الحرب • ولكن الكبائش في كردفان يسون القتال
الدعكاب • قال أحدهم : فرسك ليلة الدعكاب * لقوح التيتل التكس على
المتلاب • ويستعمل الحمر غيرهم في غرب السودان لفظة الدكناب للغبار •
قال الحصري : بشوف دكنابك يا أم رشام وقف طابور • والواضح أن الكلمة
من الأدكن أي المائل الى السواد •

ولكن عامية السودان من جهة أخرى تضرب في عمومها بسهم وافر في
التراث العربي القديم وقد يتطلب منا دراسة أصل كلمة واحدة مثل كلمة
البيّاح الى الغوص البعيد في أعماق أمهات المعاجم • فنحن حين نقول : بيّح
البيّاح وبيّح الفجر نعني طلوع الفجر ، وبعض أهل الغرب كالحمر يقولون
البوّاح في مثل قول المغنية : من طلعة البوّاح * لنوم عيوني انزاح • وكل
ذلك من لفظة البوح وهي اسم علم للشمس عند العرب القدماء ، وقد اشتقنا
من ذلك الالفاظ الدالة على الظهور والضياء في مثل قولة الحصرية : يا قمر
التسوع * دا البوّح للطلوع • والملاحظ ان هذا المعنى يجيء متصلا بالقمر
كثيرا ويصوغون من ذلك لفظة بوبح في أجزاء أخرى من السودان بمعنى ظهر
واكتسل ضياؤه في مثل قول الشاعر يصف جملته : وكت القمر بوبح لو * دابو
الجري استّح لو • وقد تحذف الحاء الاخيرة فيقولون بوبي ومن ذلك الحلية
المشهورة عند الشايقية المسماه « القمر بوبي » أي القمر اكتسل نوره • وقد
يستعمل هذا المعنى مجازا للكسالى والامتداد والتسام في مثل قول الحصري من
غرب كردفان : الليل بوبي وحكيك طن • وفي مثل قول الرباطابي يتغزل
واصفا عنق حببيته بالطول : بوبح لك عنق وهدل يداكي • وفي مثل قول
الشكري يصف ابعاد جملته في السفر : جبتو الليلة واتبوح ضرب فوق يابسة •
ومن ذلك سموا الارض القفر البعيدة الاطراف البوباحا والبياحة في مثل قول

الآخر في جبال : أداهن البوباحا * سوان الطوطا . وتروى أيضا
البياحة . والواضح أن كل هذه المعاني ليست من لفظة باح ييوج بمعنى
الافشاء والظهور فنحن نعرف هذه اللفظة كما يعرفها العرب ولكننا اشتققنا كل
هذه المعاني من اللفظة الخاصة بالشمس مصدر الضياء والتي لم تعد عاميتنا
تعرفها معرفة مباشرة الا عن هذا الطريق الطويل الملتف الذي تتبعناه الى
المصدر الاصيل لمشتقاتنا هذه .

سقت هذه النماذج المقتضبة خط عشواء لأبيّن مدى التعقيد في نسيجنا
اللغوي الذي يشف عما وراءه من تعقيد في الموروث الثقافي وآمل أن أتناول
أطرافاً من ذلك في فرصة مقبلة باذن الله .

اللغة والبيئة

من أعظم نعم الله على الانسان قدرته الفائقة على التلاؤم مع ظروف البيئة
المتغيرة . ولعل من أكثر أدواته فعالية في هذا السبيل أدواته اللغوية فاللغة من
أبرز مظاهر سيطرته العقلية والفكرية على بيئته المحيطة وهي من هذه الناحية
تجسيد حي على قدرته على التلاؤم الحضاري . ولكن الفتنة الشديدة للظاهرة
اللغوية تحجب عنا أهمية كثير مما يجري في هذا المجال من نشاط له دلالاته
البعيدة على حساسية الانسان الفائقة ومرونته الشديدة على التكيف بحيث
تصبح اللغات ولهجاتها المختلفة معايير بالغة الدقة على قدرة الانسان على التطور
والتكيف والتلاؤم . وليست العبرة هنا بالعدد الضخم من اللغات التي ابتدعها
الانسان في كل بيئة من بيئاته والتي يفوق عدد المعروف منها حتى الآن الثلاثة
آلاف لغة أساسية بل يكفي أن ينظر الانسان في اطار اللغة الواحدة في البقعة
الجغرافية الواحدة ليدرك مقدار التنوع والاختلاف في علاقة الانسان باللغة .
وهذه العلاقة من التعقيد بحيث يصعب على الانسان الوصول الى تعريف جامع
مانع للغة ما مهما بلغت من الكمال الا اذا وضع في الاعتبار كل الخلافات في
الاصوات والمعاني التي تنتظم الرقعة التي تشلها اللغة المعنية . ولهذا السبب
جاء تعدد اللهجات في صلب اللغة الواحدة . ولهذا السبب كان الناس يتواضعون
على اعتبار لهجة بعينها أفصح اللهجات وأدلها على اللغة الام دون سواها من
اللهجات . وهذا واضح في اللغة العربية حين قصر اللغويون استشهاداتهم على
قبائل بعينها اعتبروها مصدر الفصاحة وسلامة النطق أي اتخذوها نموذجاً
للاحتذاء . ومثل ذلك يتم في معظم اللغات كما هو الحال الآن في معيار
الفصاحة في اللغة الانجليزية حين اتخذوا من شرق انجلترا عدة للفصاحة ومن

بوسطون في امريكا مثالا لسلامة اللهجة الامريكية . وحساسية الجهاز الصوتي للانسان انعكاس واضح لحساسية قواه العقلية والجسدية فهو يتطور ويتغير بانتقال الانسان من بيئة الى بيئة ولعل للعوامل الطبيعية المختلفة أثرها الكبير في احداث هذه الاختلافات الكبيرة في جهاز الانسان الصوتي . وما أصاب السنة المتكلمين باللغة الانجليزية في أقطارها المختلفة دليل واضح على ملائمة اللسان لاختلاف البيئة . فان الانسان يستطيع أن يميز بين الاسكتلندي والانجليزي والامريكي والاسترالي والكندي وساكن جنوب افريقيا دون كبير غناء وكان العرب يميزون بين مختلف القبائل بهذه البيئات الصوتية التي أكثروا من الحديث عنها كالكنكسة والكسكة والعجمجة والطمطمانية والخلخانية .

وكما تأثرت اللغة العربية بأقاليم شبه جزيرة العرب واختلقت السنة القبائل باختلاف مواقعها الجغرافية عظم تأثيرها بانتقالها الى خارج شبه الجزيرة واسيطانها بيئات مغايرة بتكلم سكانها الاصليون لغات مختلفة ومن ثم تحور اللسان العربي في كل هذه البيئات ليكيف بالظروف المحيطة ولهذا السبب اختلفت السنة المتحدثين بالعربية في أقطار العروبة المتعددة ويستطيع الانسان من طريقة الكلام أن يميز بين السوداني والعراقي والليبي والمصري والتونسي والجزائري واليمني وغيرهم من أبناء العروبة . والناظر في لساننا السوداني لا يحتاج الى كبير غناء ليكتشف كل هذا التعقيد في علاقة الانسان باللغة الذي أسلفنا القول فيه . فليس هناك في الواقع لهجة عامية واحدة تنظم كل السودان او معظم أجزائه وانما هي نفس الظاهرة الانسانية تتكرر بتكرار المواقع الجغرافية والظروف الطبيعية والانسانية فتجعل لسان الشامي يختلف عن لسان المنصوري ولسان هذا يختلف عن لسان الرباطي وان تجاوزوا . وتجعل لسان الشكري يختلف عن لسان الكباشي وان جمعتهم البداوة . وتجعل لسان الكباشي يختلف عن لسان الحسري وان قربت بينهما البقعة الجغرافية . وكل مثل ذلك في اختلاف السنة البقارة وغيرهم عن سواهم من القبائل العربية في السودان .

صحيح ان كثيرا من هذه الاختلافات في طريقة الكلام ومحتواه يمكن رده الى خلافا قديمة في لهجات العرب وقد عدد الباحثون من ذلك الكثير . ولكن الكثير من الظواهر اللغوية في السودان وليد البيئة الجديدة وهو في ذلك تصوير دقيق لاستجابة الانسان لظروف البيئة المتغيرة في بوادي السودان وامساقه . ومثل هذه الظواهر اللغوية التي اتحدث عنها الآن حديثا عابرا عاما قد أصبحت الآن ميدانا خصبا للدراسة العلمية المخبرية وأملنا كبير في أن يتناول المختصون هذه المناطق اللغوية بالدراسة قبل أن تطغى عليها «اللهجة النمذجية» في السودان الاوسط وفي العاصمة بالذات .

وكثير من هذا التعقيد الكبير الذي يحيط بالظاهرة اللغوية ينبع من اتصالها الوثيق بنفسية الانسان وعقليته . ومن ثم فان كثيرا من جوانبها يصعب تفسيره وتعليقه على الرغم من بدايته للنظرة الاولى . اذا قلنا وان اكتشفنا ان هناك تشابها بين ظاهرتين مشتركتين بين عامية السودان والفصحى فان السؤال عن سر التشابها في العامية دون سواها من الظواهر الاخرى ما يزال قائما . ولنضرب على ذلك مثلا التحريك والاتباع في عامية السودان على وجه العموم . فالامر الواضح ان السودانيين في معظم الاحوال يميلون الى تحريك الساكن في كثير من الكلمات وبذلك تطول الكلمات او تطول حركاتها على الاصح . فمعظم العرب المتحدثين الآن ينطقون كلمة كلب بـ **كَلَب** بكون اللام في العامية ولكن كثيرا من أهل السودان يـ **كسرون** اللام ومثل هذا كثير . وشبهه بذلك الاتباع حين تختلف الحركات المتجاورة في الكلمة الواحدة فعادة كثير من أهل السودان تغليب حركة واحدة ولهم غرام شديد بالكسر فكلمة **لعب** بفتح اللام وكسر العين تصبح **بـ كسر الحرفين** وكلمة **بعد** بفتح الباء وضم العين تصبح **بـ كسر هذين الحرفين** . وليس ذلك كله غريبا على العرب القدماء فقد ورد عنهم الكثير في مجال التحريك والاتباع ولكن هاتين الظاهرتين لم تبلغا مبلغ القاعدة في القديم ولا أرى لهما مثيلا في الشول في لهجات العرب المتحدثين يبلغ مبلغ ما هو حادث في اللهجة السودانية عامة . ورسوخ الظواهر بهذه الطريقة الشولية

بحيث كادت أن تصبح قواعد مطردة هو الذي يحتاج الى التعليل والتفسير .
وقد يكون التسهيل في النطق هو الدافع لمعظم هذه الظاهرة بالذات ولكن
السؤال ما يزال ملحا لماذا كان في ذلك تسهيل على اللسان العام في السودان
دون سواه من أقطار العروبة ؟ ومن هنا تنبع أهمية دراسة البيئة وأثرها الكبير
على تأكيد بعض الظواهر دون سواها . ومعنى ذلك أن قولنا أن لظاهرة مسا
أسلا قديما لا يكفي لتعليل غلبة الظاهرة خاصة ان لم تكن مطردة في لسان
العرب الاقدمين . وعلينا ان نبحث عن الظروف التي أتاحت للظاهرة المعنية
سبيل الانتشار والرسوخ والتأكيد .

ولعل من أهم ما يلفت النظر في هذا المقام أثر اللغات القديمة التي استقر
التأثير من العرب في وسط المتكلمين بها . ومن الأمور البديهية ان العربية
وان قست على هذه اللغات في مناطق كثيرة من السودان الا انها لا بد ان
تكون قد تأثرت بها في كثير من جوانبها مثلما تأثرت كثير من اللغات الحية
الآخري في السودان بالعربية في تراكيها ومفرداتها والشواهد على ذلك كثيرة
من النوبية والبجاوية ولغات الفور وما إليها . وتأثر العربية بهذه اللغات
القديمة يتراوح بين التأثير البين الملموس كإضافة مقاطع بعينها لها دلالاتها
الخاصة للعربية لتحل نفس الدلالات التي كانت لها في لغاتها الأصلية من مثل
المقطع آب وايب من البجاوية كما ذكرت في مناسبة ماضية والمقطع ايق وآق
من النوبية والمقطع آية المجهول الأصل والدال على الأفراد والتصغير في قولك
غنماية ونملاية . ويدخل في ذلك الأصوات الكثيرة التي لا تست للعربية صلة
والتي هي أقرب للغات الأفريقية من مثل ذلك الحرف الذي هو بين النون
والجيم . ولكن هناك بجانب هذه الظواهر البارزة للتأثر باللغات المحلية جوانب
أخرى خفية من التأثير في النطق والتركيب ما تزال في حاجة كبيرة للبحث
والتنقيب . فقد تدلنا الدراسة المتعمقة للتركيب الصوتي للنوبية والبجاوية
وغيرها من اللغات المحلية على أن غلبة بعض الظواهر الخاصة على عامية
السودان كالاتباع والتحرك مثلا مرده الى تأثير المتكلمين بالعربية بهذه اللغات

في نطقهم وطريقة كلامهم من تفخيم بعض الحروف وترقيق ومن تحريك واسكان
ومن قلب وإبدال وتركيب للمجمل . فمن الواضح أن كثيرا من الظواهر النحوية
والتركيبية في عامية السودان غريبة على العربية . فقد لاحظ امبروستر في كتابه
عن قواعد اللغة النوبية الدقلاوية ان قول العامة في السودان « القطر قاعدة
يشي » و « الجردة قاعدة تنطط » من تأثير العربية بالدقلاوية فان لفظة قعد
أو ما يقابلها بالدقلاوية تعني الانشغال والعمل والعسلية . ولملاحظة امبروستر
أهميتها رغم أن اللغة النحوية لا تخلو من مثل هذا الاستعمال . ولكن العبرة
هنا بغلبة استعماله في عامية السودان وقد يكون في شيوعه في النوبية حافزا
قويا على غلبته في عامية السودان . ومما يلفت النظر في هذا المجال شيوع كسر
أواخر بعض الكلمات بطريقة تجعلها ياء أو قريبة من الياء ويكثر هذا في شمال
البلاد . فالشايقية مثلا يلحون على هذه الياء في مثل قولهم الساقى المساقية
والاجازي للاجازة ولهم في ذلك ملح وطرائف . هل تقول ان هذا من تأثير
اللغات النوبية التي استقروا في وسطها والتي ما تزال تجاورهم والتي يكثر
في أواخر كثير من كلماتها هذه الياء مثل عردى للمعرب وعنقري للعنقري
ودفي للدفيق وماري للساريق وهذه القاف الملحقة علامة المفعولية . وغير خاف
ان انحصار الشايقية وجيرانهم من المناصير والرباطاب في منطقتهم الفقيرة التي
يصعب الاتصال بها والتي لا تتيح لاعداد كبيرة من الناس رغدا من العيش
سأهم - كما أوضحت في مقام آخر - في تأكيد هذه الظاهرة بالذات وغيرها
من الظواهر التي تبرز في كلامهم وكلام جيرانهم من المناصير والرباطاب وغيرهم
من سكان شمال السودان .

ومن الواضح ان اتساع رقعة أرض السودان وتباعد أطرافه واختلاف بيئاته
الجغرافية والانسانية يفتح المجال واسعا لتنوع اللهجات وتباين أساليب الكلام
ويكفي أن ينظر الانسان في لهجات غرب السودان وخاصة كردفان ليتبين أثر
البيئة في تشكيل اللغة نطقا ومحتوى وشكلا . فلهجات البقارة تختلف عن
لهجات الابالة ولهجات هؤلاء تختلف عن بعضها بحكم الموقع والاختلاف بغيرهم

من السكان الاصليين وتفصيل كل ذلك يحتاج منا لجهود مضنية في الرصد والتسجيل والمقابلة والدرس والتحصيل .

وقد بينا في مجالات أخرى انه رغم هذا التباين والتنوع في اللهجات العربية في السودان فان هناك سمات عامة مشتركة بين المتحدثين بالعربية في السودان مما يدل على علاقة تقارب واتصال بين مختلف المجموعات العربية في أقطار السودان المتباعدة . وتسكن كثير من الظواهر اللغوية الناجمة عن الاختلاط بالبيئات الاصلية التي عاشت في وسطها القبائل والمجموعات العربية في كثير من لهجات السودان العربية وان بعدت عن هذه البيئات الاصلية يثير تساؤولا كبيرا حول الطريقة التي تست بها اللغة العربية الغلبة على ما سواها من اللغات الاصلية . ومن الواضح ان هذه الغلبة لم تتم عن طريق القوة والكثرة العددية بحيث نقول ان القبائل العربية الوافدة كانت من الكثرة والقوة بحيث أبادت السكان الاصليين من النوبة والبيجة والقبائل الحامية والزنجية والنيلية وحلت محلها . والاقرب من ذلك أن تتصور تسربا بطيئا لهذه القبائل العربية التي كانت تمثل حضارة قوية وثقافة أكثر حيوية مما وجدته خاصة وان الممالك النوبية المنتشرة على النيل كان قد أصابها الوهن واعتراها الجمود لحقب طويلة والواضح ان ثقافتها لم تكن من الغنى بحيث تصد أمام الثقافة الوافدة . وبسيطرة هذه الجيوب العربية على مقاليد الامور انفتح المجال للتوسع في نشر الثقافة واللغة العربية وبذلك تم تعريب السكان خاصة في منطقة السودان الاوسط التي هي مركز الثقل الحضاري كما بينت في مقالة سابقة . وما دام أكثرية المتكلمين بالعربية من المستعربين من سكان المنطقة فقد تأثرت العربية بما درجت عليه ألسنتهم وتعودته من حركات وأصاليب للنطق في لغاتها الاصلية . ومن الواضح ان تمازج العرب بالسكان الاصليين كان بعيد المدى فقد ذابوا في السكان الحاميين في المنطقة ما عدا جيوب متبدية احتفظت ببعض الملامح العربية . وكان ذلك سبيلا لتأقلم العربية في السودان هذا التأقلم الذي أكسب العربية هذه الميزات التي تحدثنا عن بعضها والتي جعلت منها لهجة متميزة من لهجات العروبة .

العامية في السودان

منذ أن اكتشف الانسان أمر اللغة انفصل عن بقية الحيوان واكتسبت حياته على الارض بعدا ثالثا يستد عبر المكان والزمان فأصبح بفضل ذلك حيوانا ذا تاريخ . . لان اللغة تسجيل دقيق لحياة الانسان في كل مجالاتها العقلية والشعورية فكما أن لكل فرد منا عقلا يفكر به ويخزن فيه تجاربه فاللغة للجمع بمثابة العقل المشترك تخزن فيه المجموعة تجاربها وحكستها وحضارتها . فاللغة اذن تاريخ . أو هي الاطار الذي يدور فيه التاريخ . . . وأنا أريد أن أتصور هذا الاطار كشريط التسجيل يستد عبر الزمان وتنطبع على صفحته مختلف التيارات الحضارية التي تعاقبت على هذه الرقعة من الارض في تاريخها الطويل . لكن هذه التيارات كانت تصطرع وتتلاحم فقد كان السودان منذ القدم معبرا هاما للحضارات ونقطة التقاء لها ولغتنا العامية تمثل من هذه الناحية النتاج النهائي لعملية التلاقح الحضاري . فهي اذن صورة صادقة لحياتنا عبر التاريخ واذا درسناها دراسة جادة فاننا نستطيع أن نستخلص منها معظم التيارات الحضارية التي تعرض لها السودان . . لان كل تيار يترك أثره في شكل كلمات .

ومن البديهي ان السودان كغيره من المناطق الافريقية كان وما يزال يعج بسختلف اللغات واللهجات ، ولا بد أن وسط السودان الذي يتحدث الآن اللغة العربية كلغة أم كان قبل انتشار العربية يتحدث بلغات مختلفة مثله في ذلك مثل بقية أجزاء القطر . وقد كان دخول العرب في السودان نقطة تحول خطيرة أحدثت هزة انسانية ولغوية عنيفة وتجت عنها تعديلات بعيدة الغور في كيان

البلاد . ولكن مدى تأثير هذه الهزة مرتبط الى حد كبير بتحركات القبائل العربية ومناطق استقرارها اذ أن موجة الفتح سرعان ما انحسرت عن الاطراف وتركزت في الوسط الذي كان اقرب الى بيئة العرب . وهكذا أصبحت هذه المنطقة مركز الثقل بالنسبة للتجمعات العربية وبالتالي تعرضت للنفوذ العربي المباشر الذي تسنده قوة القبائل النازحة وتم للعربية الغلبة أو ما يشبه الغلبة على اللغات المحلية السائدة وكلما بعدنا عن مركز الدائرة تضاعف النفوذ العربي المباشر ووجدت اللغات المحلية فرصة أكبر للحياة . ففي محيط الدائرة شمالا ما زال الناس يتحدثون باللغة النوبية ولهجاتها الاربع عند الكنوز والسكوت والمحس والدافلة ، وفي الشرق يتحدثون باللغة التبادوية ولهجاتها الخمس عند العباددة والحنقا والامرأ والبشاريين والهدندوة وهي لغة حامية في حين يتحدث بعض البني عامر من البجة لغة التيقرة وهي لغة سامية ذات صلة بالحبشة واذا تبعدنا محيط الدائرة الى الجنوب الشرقي نجد الانفسنا يتحدثون بلغتهم الخاصة وفي الجنوب تنتشر أكثر من مائة لغة وفي الغرب اللغات الدارفورية ولغات النوبة لكن كل هذه المناطق تأثرت في كثير أو قليل باللغة العربية وأثرت فيها .

وليس في السودان لهجة عامية موحدة تربط بين المناطق التي تتخذ من اللغة العربية لغة أم بل ان كل منطقة وكل قبيلة لها لسانها الخاص وهي تتفاوت في مدى محافظتها على عروبة اللغة باختلاف البيئة وبسقدار تأثرها بالعناصر المجاورة التي تتخذ لغة غير العربية لسانا لها .

وأنا أريد أن أتخذ من اللهجة أو على الاصح اللفظة أو الكلمة العامية السائدة في منطقة الخرطوم وما جاورها نقطة انطلاق لدراسة الظاهرة اللغوية كسجل لتراث الماضي في كل أبعاده القريبة والبعيدة .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو كم عربية هي هذه اللهجة ، خاصة وقد قلنا ان هذه المنطقة قد تعرضت للنفوذ العربي المباشر وفقدت لغاتها المحلية القديمة وأصبح سكانها يتحدثون هذه اللهجة كلغة أم . والواقع أن اللغة

العربية دخلت في صراع مع اللغات السائدة ودوختها ولكن مثل هذه الحالات وقياسا على القانون اللغوي العام فإن الانتصار قل أن يكون كاملا ولا بد من أن تترك اللغات المندحرة آثارها في شكل الفاظ أو آثار أخرى في النطق والتحريف .

رواسب اللغات المندحرة :

ونحن اذا أمعنا النظر في لهجتنا العامة نستطيع ان نكشف اننا ما نزال نحفظ بكثير من رواسب اللغات الميتة كالفرعونية والنوبية والزنجية والبقاوية التي تخلقت عن المعركة ودخلت في الاطار العربي ونستعملها في حياتنا اليومية . والسري في بقاء هذه الرواسب في صلب لهجتنا العربية ان اللغة وظيفية اجتماعية تؤديها والكلمات تبقى وتندثر بسقدار نجاحها أو فشلها في تأدية هذه الوظيفة . فلقد عاش العرب في الصحراء ولكنهم عندما استقروا في أماكن الزراعة وخاصة على ضفاف النيل لم تسعفهم لغتهم بالالفاظ الموالية التي تعبر عن هذه البيئة الزراعية وكان من الطبيعي أن تستمر معظم المصطلحات النوبية والفرعونية الخاصة بالموضوع لحاجة الناس اليها فالساقية مثلا لم تكن معهودة لدى العرب ولذلك لم يجدوا في لغتهم من اصطلاحاتها الا عددا قليلا مثل العطفة والحلقة والدلو أو الدروة والجابية وأما باقي الاصطلاحات ويتجاوز الثلاثين فكلها نوبي مثل : الكوريق والسندقيق والسبلوقة والتوريق والاروتي والجرق وكذلك الامر في النبرو أو الشادوف ومعرفتهم بألوان الارض النيلية مثل الكرو والكرس والقرير والانقاية والتقنت والمقة والمسور محدودة فبقيت هذه الالفاظ حية وكذلك أساء الآلات الزراعية مثل الواسوق والكوريق والملود والسلوكة والخوسة والبدينق . وواجهوا في السودان ألوانا جديدة من النبات وما يستخرج منه لا قبل لهم بها مثل العرييب والماريق والتبش والحنقوق والعاشيق واللبسيق والسبروق والكبكبيق ، واللعوت والكليت والويكة والقبانيت والكاويق والويكاب وكلها نوبية فاحتفظنا بها كما كانت . وللبيئة أيضا تراثها

الحضاري الموروث الذي ظل يصارع الزمن فانتصر عليه في شكل كلمات كثيرة مثل البرش والسبابة والكبوتة والتسيية والكابدلو والتقروقة وغيرها من أدوات المنزل التي ظلت تحتفظ بأسائها القديمة . وكذلك الحال في بعض ألوان الأطعمة الخاصة مثل الأبري والرييت . وفي مجال العادات الاجتماعية ما زلنا نحفظ بالجرق والسومار والكبريت في الاعراس . أما من ناحية أساء الحيوانات والطيور فقد تست الغلبة للعربية الا في دائرة ضيقة نجد فيها من مخلفات النوبة الكديس والعلانج والككو والجلق والغبلق وأم قيردون .

ولا يقف الاثر النوبي عند هذا الحد بل ان كثيرا من أساء المدن والقرى والاشخاص في السودان يقف شاهدا على عنق الاثر الذي تركوه في حياتنا فمن الاسماء النوبية في منطقة الجزيرة برنكو وتنوبا بالقرب من الحصاصي ومعناها ارض النوبة وأرجي ومعناها مكان العرب ومارنجان أصلها ماريق ن جنه اي ذرة الملكة ، مزيقلا (ج حاج عبد الله) مس ن قिला اي العين الحراء ، سنار : اس ن آرت جزيرة الماء أو الاخت ، قرى : شوم ، أم بכול (أمب : دوم كول ذات) ذات الدوم ام دوم - وقد عرب هذا الاسم في قرية أم دوم بمنطقة الخرطوم ولعل كثيرا من أساء الأماكن التي تبدو لنا غريبة مثل الخرطوم وأم درمان وشبات والحلفاية والكدر و سوبا والباكير وما إليها من مخلفات العهد القديم .

واذا تركنا التيار النوبي فاننا نصطدم مباشرة بالتيار البجاوي الذي ينساب قويا في صلب لهجتنا ويقف شاهدا على أن الاتصال بين المجسوعات البشرية في السودان كان منذ القدم قويا وحادا . فنحن نتحدث بالتبداوي حين نذكر المرفعين والبشوم والبعين والصقر أو نستعمل العنقريب والكركب والفندك والدانة للشراب والسكسك والكرورية والنصل أو حين نأخذ الشبال في العرس ونستعمل في مجال الأطعمة الدوف والفنقر والعنكوليب . أو حين نقول لمن لم يحالفه الحظ جلا أو ننادي الطفل بالدرفون أو نشكو من الدبس ونبرم

الشنب ونطبل البيت بالطبله ونقول لمن يرحل قنجر ونصف الشفاء الغليظة بالشلايف وأصل الشلوف عندهم خرطوم الفيل . وسنرى بعد قليل أن تأثير البجا في لهجتنا أعنى من ذلك بكثير والسؤال الذي يجابهنا هنا هو هل امتد نفوذ البجا الى منطقة وسط السودان فاثروا منذ القدم في اللهجة تأثيرا مباشرا كما فعل النوبة أم أن هذا التأثير قد انتقل إلينا عن طريق القبائل العربية والتي استقرت لفترة في أرض البجا بالشرق ثم انساحت الى منطقة الوسط . . هذا سؤال ستكشف الايام عن الاجابة عليه وقد علت مؤخرا ان لاستاذنا البروفسور مكي شبكية نظرية في هذا الخصوص مؤداها أن معظم القبائل العربية جاءت الى السودان عن طريق الشرق فاتتلت معها هذا الاثر البجاوي الى أواسط السودان .

وكانت علاقة السودان بصبر قوية منذ العهود الفرعونية والقبطية وما زلنا نحفظ في لهجتنا بشواهد على هذه العلاقة القديمة في شكل كلمات كثيرة مثل الكلمات النيلية كالدميرة والشية والشلابة والريح المريسي (الجنوبي) والطياب (الشمالي) عند النواتة ولقطة الطورية . والاثر الفرعوني يدور على ألسنتنا كل يوم في لفظة شنو (وقد وردت نفس الحروف بمعنى يسأل) . وفي لفظة كاني ماني (سنن وعسل : في دكان الزباني) . وحين تزجر الحمار بلفظة عر فلعلها من عا وتعني الحمار بالفرعونية . وفي علاقتنا بأطفالنا نتحدث أحيانا بالفرعونية في شكلها القبطي خاصة في مثل لفظة (أمبو) بمعنى أشرب أو الماء ولللفظة كخ وهي القذارة . ولعل الكثيرين منا لا يدرون عندما يخيفون أطفالهم بود أم بعلو أو البعبع انهم يستعدون عليهم العفريت المصري القديم بعبع الذي كانت مهسته اخافة الاطفال . ويتهم أحدا الآخر بأنه تليس والتليس هو الجراب أو الزكية بالقبطية ومن الالفاظ القديمة التي نستعملها الآن لفظة جاي في قولك تعال جاي وكانت تستعمل قديما لطلب المعونة والاستغاثة . وأيضا لفظة ياما « يا ما قرن الثور شایل » بمعنى كثير بالقبطية ، وعندما نجيب على نداء بقولنا أها (قبطية بمعنى نعم) . كوش عليه : تركه لا يملك شيئا أو تركه عريان .

ولا بد ان للغات الافريقية القديمة أثرها في لغتنا خاصة الالفاظ التي تضم الصوتين نا (نانا) نيام نيام نم نم نل ناو و جا (سبك بك) ومن الالفاظ الافريقية القديمة لفظة قرتي لفرس البحر وتستعمل في الشمال والجنوب . ولا بد ان الفاظا مثل القعونة والتاميرة وغيرها من الالفاظ المجهولة حتى الآن هي من مخلفات هذه اللغات وسيكشف عنها البحث باذن الله .

كل هذه المخلفات القديمة وآلاف غيرها درجت على الالسة منذ أقدم العصور ولم تستطع اللغة العربية القضاء عليها لان استمرارها كان ضرورة اجتماعية لانها كانت تؤدي وظيفة اجتماعية او تعكس ظواهر اجتماعية وكانت اللغة العربية من الطوعية والمرونة بحيث ضمتها اليها وأصبحنا الآن لا نكتشف أصولها الا بالدراسة والبحث .

اللغة العربية :

ولكن هذه اللغة العربية التي نجحت الى حد كبير في اخضاع اللغات القديمة وهضمت ما بقي من مخلفاتها واجهت تحديات البيئة الجديدة واضطرت بمرور الزمن الى التكيف معها وسرعان ما تطورت لغة الحديث الى لهجة تختلف كثيرا عن اللغة الام وان احتفظت بكثير من خصائصها وبعض هذه الخصائص قد اندثرت الآن في اللغة الفصيحة ولكن لهجتنا تحتفظ بها كشاهد على هذا الاصل القديم الضائع . واللهجات دائما تمثل التطور السريع المتصل في المجتمع فهي تحور كثيرا من الحروف والعلامات بحيث تلائم ظروف المتكلمين وتتوخي في هذا التحوير سهولة التداول وسرعته حتى تؤدي وظيفتها الاجتماعية في أبسط صورة ممكنة .

والناظر في بعض اللهجات العربية السائدة في بعض مناطق السودان يحس بالعلاقة القوية بينها وبين بعض القبائل العربية في جزيرة العرب . فان اللغة العربية لم تكن في الاصل لغة أمة واحدة بل كانت خليطا من اللهجات لقبائل

كثيرة تبلورت قبل الاسلام في لغة قريش ولكن مع سيادة قريش احتفظت كل قبيلة بلغتها الخاصة ونقلتها معها حين نزلت خارج الجزيرة قبل الفتح وبعده فن الظواهر اللغوية التي امتازت بها قبائل عربية بعينها ونجد لها صدى في لغتنا :

(١) ابدال الحاء هاء (حسن : هسن) في كردفان تقابل لغة بني سعد بن زيد مناة بن تميم ولغة لخم وعليها قول رؤبة : لله در الغانيات المده ، يريد المدح . وقوله براق أصلاذ الجين الاجله : الاجلح ، وقولهم باقلاء هار : حار .

(٢) ابدال العين همزة والهمزة عينا في على : ألى . وفي أمر : عمر ، لغة فصيحة فالعرب تقول موت زؤاف وزعاف ، وسأف وسعف . واستأديت الامر على فلان في معنى استعديته .

(٣) بعض سكان النيل الازرق يشدد الحرف الاخير من الكلمة المتصلة بالهاء فيقولون في كتابها : كتاب وفي كتبها : كتب بالتضعيف وكانت سعد تضعف الحرف الاخير من الكلمة الموقوف عليها فيقولون هذا خالد .

(٤) اقتطاع اللفظ قبل تمامه أو الترخيم عند الرباطاب ببربر والمناصير في مثل قولهم : أعطيته الكتا (ب) وسعت الكلام) وهي لغة طيء .

(٥) بعض قبائل كردفان تقول في أعطى : أنطى وهي عربية لسان سعد ابن بكر وهذيل والازد وقيس والانصار ووردت في الحديث لا مانع لما انطيت ، واليد المنطية خير من اليد السفلى وقرىء شذوذا : إنا انطيناك الكوثر .

(٦) قولنا في الاستفهام منو ومنن ومنى يستند على باب كبير في كتب النحو .

(٧) قولنا دسيت بدل دسست وصبيت المال (صبيت) وقصيت الاظافر (قصصت) فصيح .

(٨) جعلنا حرف المضارعة همزة مكسورة اذا كان للغائب فنقول في يسكن ويقول أمكن وأقول فصيح .

(٩) التخلص من الهزات في مثل راس وبير ولوم وتوضيت وقرئت عربي لانهم يلقبون كل همزة من جنس حركة ما قبلها .

(١٠) ونحن نستعمل في عاميتنا لغة أكلوني البراغيث فنقول قالوا الناس (قال الناس) وهي لغة سخر منها النحاة والتقليديون مع أنها وردت في القرآن « وأسرؤا النجوى الذين ظلموا » وفي الحديث « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » وفي شعر العرب :

يلومونني في الدين قومي وانسا ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

(١١) أهل اليمن يلقبون لام التعريف ميماً وقد وردت في الحديث « ليس من امير امصيام في امسر » ابرار .

(١٢) وأهم ظواهر العامية ابدال الاعراب وقد ذكر ان تسميم وربيعة تحذف التنوين وتقف بالسكون جاء خالدٌ ومررت بخالدٍ وان كانت تسميم تحافظ أحياناً على تنوين الفتح والظاهرة الغريبة في لهجتنا اننا احتفظنا بتنوين الفتح في مثل قولنا : كل شاة معلقة من عصبانا . وفلان راجلاً زين .

(١٣) ونحن نلزم جمع المذكر السالم الياء في جميع الاحوال وهي لغة بني تميم : وكان لنا أبو حسن علي أبا برا ونحن له بنين . ونسب الى ربيعة حذف نون الرفع لغير فاسب أو جازم فنقول : أتمتم تحبوا الحق .

وكل هذه الظواهر تؤيد ما يذهب اليه بعض الباحثين مثل الدكتور عبد المجيد عابدين من أن (معظم القبائل العربية التي دخلت السودان من قبائل ربيعة وجهينة) .

ولكن بالرغم من هذه المظاهر القديمة التي احتفظت بها اللغة كدليل على الاصاله فقد كان لا بد لها وقد انتقلت الى بيئة جديدة من أن تأقلم وتكيف

بالظروف الجديدة حتى تلبي حاجات الناس وتستقيم على ألسنتهم وقد استلزم ذلك احداث تغييرات كثيرة في النطق والمعنى . وأهم اسلوب اتبعناه في تطويع اللغة حتى تسهل على اللسان عملية الابدال اذ اننا نميل الى التخلص من الحروف الصعبة ونبدلها بغيرها ، مثل :

ذ = د : جيد : جيد - جذع : جذع - حادق : حادق - دروة : ذروة - (عند العرب الهيدبي : الهيدبي - دحاح : دحاح) .

د = ض : ذبح : ضبح - ذبان : ضبان - ذبل : ضبل - جذل : جضل - ذرورة : ضريرة - قذف : قصف .

ث = ت : ثلاثة - تمدة - شبت - جتة - حتل - حنالة - حترب .

ج = د : دحش - ديش - دشر - دشوة - درش العيش - عضم دوش - شدر - شداعة .

د = ج : خجيعة - جدادة .

أ = ع : جار : جعر - قرأ : قرع - فقأ : فقع - (العرب : أربون وعربون - وانققأ وانققع) .

م = ب : مكان : بكان - متين : بتين - منبر : بنبر - مسراع : بسراع - (العرب مكة بكة) .

وهكذا لا يكاد يفلت منا حرف دون ابدال . وقد يضطرننا دافع التخفيف ان نغير من وضع الحروف عن طريق القلب فيسهل نطق الكلمة ولدينا آلاف من الكلمات المقلوبة :

جض : ضج - نجض : نضج - جضم : ضجم - دلجة : جلدة - جواز : زواج - دار الشيء : راد - سحلية : حسل - خفس : خسف - فقه : فهق - تب : بت - أنعل : العن - شعبة : شعبة - نخنخ : خنخن - معلقة : ملعقة .

(والقلب معروف عند العرب : جذب وجذب - فطس وطفس - قبط وجهه وقطبه) .

وقد نلجأ أحيانا الى الحذف فنقول ود - بت - مرة - نص - فد مرة :
 فرد مرة - حبابك عشرة مرحابك أو ندغم الحروف المتشابهة فنقول : ات - وقت -
 وكنت - (أنت قلت كنت) . وقد تستدعي ضرورة التخفيف زيادة حرف أو
 أكثر فنقول طوطح بدل طوَّح ولولح بدل لَوَّح وطفشن الباب بدل فشه .
 وقد نذهب الى أكثر من ذلك في سبيل السيورة ورفع الحرج عن اللسان
 فنسج الكلمات العديدة في كلمة واحدة وهو ما تسميه العرب بالنحت فنقول
 معلىش بدل ما عليك شيء - وعشانك بدل على شأنك - ليشنو لأي شيء
 هو - بلاش : بلا شيء . هسع : هذه الساعة : ها الساعة - لسع : الى
 الساعة - الليك اولى ليك الذي لك - دقر ياعين صادمن عيني وعين الحساد
 هذا قره عيني . كل هذه التحويرات في جسم الكلمات حدثت بالضرورة حتى
 تسهل اللغة على اللسان ويتم التعامل بها في يسر .

والامر أبعد من ذلك في مجال مدلولات الالفاظ ومعانيها . اذ أن اللغات
 كالأدمين تأثر بعوامل البيئة وبالمناخ الاجتماعي الذي تنتقل اليه . وقد
 اختلف تأثر اللغة العربية في السودان باختلاف المناطق والقبائل . فقد حافظت
 القبائل البدوية المترحلة على كثير من الالفاظ في معانيها الاصلية . أما القبائل
 المستقرة فقد تأثرت أولا بالسكان الاصليين واضطرت في كثير من الاحيان الى
 احدث تغييرات كبيرة في مدلولات الالفاظ ومعانيها لتلائم ظروف بيئتها
 الجديدة والكلمات التي كانت تدل أصلا على مفهومات بدوية عدل بها عن
 مدلولها الاصيل الى مدلولات جديدة تعبر عن واقع الحياة المعاش مثلا :
 الدرفة التي تدل في الاصل على الترس جعلناها تدل أيضا على حائط البيت -
 والدقلة التي تدل في الاصل على الشاة الضاوية الضعيفة اطلقناها على البطيخة
 الصغيرة - والديس الذي هو الغابة المتلبدة جعلناه شعرا - والزغرودة وهي في
 الاصل الاصوات التي ترددها الابل في جوفها جعلناها زغاريت النساء في الافراح .
 والزراعة التي كانت تشتت الابل وتفريقها جعلناها لكثرة الكواسة - وهذه
 الكواسة كانت في الاصل للبعير يشي على ثلاث قوائم وهو معرّب ، ولا علاقة

كبيرة بين هذا المعنى القديم والمعنى الذي نريده الآن من قولنا الكواس حقه
 في كرميه - وفي علاجنا البلدي نستعمل الخشبة وهي ضرب من (الرجيم)
 يستنع فيه الانسان عن الدهون والطعام المالح وقد يتعاطى بعض الاعشاب الجافة
 وهي في الاصل أكل اليبس من المرعى . ونقول الآن اتفتت في التراب وأصلها
 من تفتت الناقة أي ضربت بثفاتها الارض والثفنة من البعير ما يقع على الارض
 من أعضائه - ونقول ان الولد خسجان أي سيء الادب فاسده وفي الاصل
 خسج الشر فسد جوفه وحمض - وهكذا هناك آلاف من الاستعارات نقلنا
 بها الالفاظ من بيئتها البدوية الى بيئتنا الحضرية . ومن الاساليب التي طوعنا
 بها المعاني تخصيص المدلول للكلمة التي كانت عامة والامثلة على ذلك كثيرة
 منها مثلا (١) الجنفا نخصصها للعسرا أو التي تلبس الثوب بالعكس والجنف
 في الاصل الجور والميل عن العدل اطلاقا (٢) ونخص التشليق بالعين وشلق في
 الاصل شق أو خرق طولا دون تخصيص (٣) ونسمي الصدا بالصقر (حديد
 مصقّر) والصقر اختلاط لون الطائر خضرته أو سواده بحمرة أو صفرة
 (٤) ونطلق لفظة الشخت على الغشاء من اللحم وهي في الاصل ضصور عن غير
 هزال (٥) وأطلقنا اسم الضمير للخضر النحيل وهي من الضصور أي النحول
 والمنفعة في الاصل الكلام الرقيق ولكننا حددناها بالمناداة . . . وهكذا .

وهناك ألفاظ بعضها غامض نستعملها في حياتنا اليومية بالتعود ولا ندري
 لها معنى محددا وأبرز ما يظهر ذلك في الالفاظ المبهمة التي ينطق بها الصبية في
 ألعابهم فمن ذلك قول الصبي وقد عصبت عيناه وحمل في يده العصا يبحث
 بها عن أنداده : أنا ما بشوف بعصط الصوف « وعمت الصوف » جملة قاموسية
 وتعني لفه مستديرا ليجعل في اليد فيغزل ، ومعنى ذلك أننا ورثنا هذه اللعبة
 بألفاظها المحددة منذ القدم ولكن المعنى تنوسي بمرور الزمن وفقدت الكلمات
 دلالتها الاجتماعية ولكنها بقيت على اللسان كدليل على المصدر القديم . ومثل
 ذلك قولنا حجيتك ما بجيتك « وبجيتك » تعني طعنك (ومما يؤكد هذا المعنى
 رد الآخر : خيرا جانا وجاك) . وندعو على الآخر بقولنا يدك الطلا ووجع

الكلا (الطلا القطران) أو نقول له : يدك الكود ووجع اللغود والكودة هو ما جمعت من تراب : أو نقول له يخجك برد الحجاج « والريح الخجوج » الشديدة العيفة . ونقول لصديق ادينا حركة نقصد بعض المال (والحركة) في الاصل مائة ناقة . ومن الالفاظ التاريخية الهامة التي دخلت لهجتنا وتنوسي أصلها لفظة الحرامي أي اللص ولا دخل لها بالحرام وانما هي منسوبة الى قبيلة بني حرام التي دخلت مصر أيام الفتح العربي ثم انحطت وتلصصت فأصبح كل من يسرق يسمى حرامي . ومثل ذلك أيضا لفظة الحنفية في العهود المتأخرة ماسورة المياه والكلمة في الاصل كانت صنوبر الحنفية نسبة لاصحاب المذهب الحنفي وكانوا يخرجون في طهارة الماء ويلحون على عدم جواز الوضوء من ماء لامسته الايدي ولذلك ومبالغة منهم في حفظ الماء طاهرا صنعوا الصناير في المساجد للوضوء . وبسرور الزمن سقطت كلمة صنوبر المضافة الى الحنفية وبقيت كلمة الحنفية دالة على الصنوبر أو الماسورة .

وكما احتفظت لهجتنا بخصائص لغوية لبعض اللهجات العربية التي تلاشت الآن كذلك احتفظت ببعض الصيغ التي ضاعت من اللغة الام مثل لفظة «سجم» التي تعني السواد وتقرن دائما بالرماد ، ففي الفصحى نجد لفظتي سجم وسخم بنفس المعنى أي السواد ولكننا لا نعثر على سجم ، وما دمنا نستعمل الكلمة في نفس المعنى المنصوص عليه في الفصحى فالارجح انها كانت لهجة خاصة لم تدون في كتب اللغة وحفظتها عاميتنا . ومن جانب آخر نعثر على صيغ وألفاظ في لهجتنا مستنبطة من مصادر عربية قديمة ضاعت الآن من حياتنا ولكننا احتفظنا بهذه الالفاظ المنتزعة منها ومن ذلك لفظة تحنفش (ولم أجدها في المعاجم) أي اتنفش من الغضب وقد أخذناها من الحنفش وهي أفعى عظيمة ضخمة الرأس رقيقة العنق خبيثة اذا غضبت اتنفخ وريدها (ونحن لا نعرف الآن هذه الحية في لهجتنا) . ونستعمل النجامة في الحش وقل ان يخطر ببالنا انها مستنبطة من النجم وهو ما طلع من النبات على غير سوق وأخذنا منها الفعل نجبه طيب (والنجامة بهذا المعنى سودانية) . وأخرجنا البعاتي من فكرة

البعث ولا وجود له في العربية . ومن الالفاظ التي ضاع أصلها لفظة الشرغرغ (اناء القهوة) ولعله أخذ من الطائر الذي يحصل نفس الاسم عند العرب ويشبهه ونقول للسحابة المسطرة الشختور وهي في الاصل سفينة صغيرة بشراع واحد فكاننا كنا نعرف هذا المعنى قديما ثم شبهنا السحابة المسطرة بهذه السفينة وبسرور الزمن أصبحت الفكرة المستعارة هي الحقيقة وضاع الاصل .

وعن طريق العرب تأثرنا بالفرس واليونان والريان فانتقلت اليها كثير من الالفاظ الحضرية التي أخذها العرب عنهم . فن اللغة الفارسية وصلتنا ألفاظ الاطعمة والملابس وأسماء الادوات المختلفة فن ذلك : البالوطة والبادنجان والكمك والخشاف والجزر والارنجة والزنجبيل والتسباك والنشادر ومن أسماء الادوات الطشت والابريق والبرواز والجزلان والجنزير والدبارة والشوال والبردة والسيخ والكتان ومن أسماء الملابس : القفطان والسروال والبفتة والجوخ والديباج والبشكير والشراب (بالاضافة الى ألفاظ مثل البولاد والسادة والبهلوان والجربندية والبخت والبندر والنيلة والسرايا وكل ألفاظ الطاولة يك ١ - دو ٢ - سي ٣ - جهار ٤ - ييش ٥ - شيش ٦ - يك كبير ٢١ - دبارة ٢٢ - دوسه ٣٢ - درجي چهارين - دبش ٥٢ - دوش ٦٢ .

ويتشل التيار اليوناني القديم في ألفاظ كثيرة نستعمل منها اليوم في أسماء الاطعمة : الملوخيا والبامية والترمس والكرب والكرابوا والبقدونس ومن الادوات الطاجن والكبسونة والكير والمغنطيس ومن الامراض المنخوليا واليرقان بالاضافة الى ألفاظ مثل البارود والاصطبل والقيراط والمصطكي والعطرون والقانون وغيرها .

وكما اتسعت العامية في الماضي وحملت في جوفها معظم التيارات الحضارية التي مرت بها البلاد فاكسبت بذلك خصوبة ومقدرة كذلك تأثرت بالتيارات الحديثة فقد خضعت البلاد في القرن التاسع عشر للحكم التركي المباشر فدخلت

لينا كثير من الاصطلاحات التركية بالاضافة الى كثير من الالفاظ والتعابير التي كانت مستعملة في الشام ومصر والمغرب . وحضارة الاتراك كانت حضارة عسكرية وادارية فورثنا عنها كثيرا من المصطلحات العسكرية والادارية التي تطلبها وضع الحكم التركي في البلاد : فكل الالفاظ التي تبدأ أو تنتهي بالمقطع باش تركية (معناه كبير) باشكاتب ، يوزباشي ، بكباشي ، حكيباشي وأيضا الالفاظ التي تنتهي بخانة (ومعناها مكان) : شفخانة ، اجزخانة ، ادبخانة ، وأيضا كل الالفاظ التي تنتهي بالمقطع دار (صاحب) حكمدار بيرقدار ، دفر دار الى جانب الالفاظ التي تنتهي بالمقطع جي (للنسبة) تمرجي ، سفرجي ، اجرجي ، عربجي ، وقد تأثرنا في طعامنا بالاتراك فعرفنا منهم الكفتة والقاورمة والطرشي والبقلادة واليخى والسجوك والبسبوسة والبسطرمة والتتكة وكلها ألفاظ تركية ومنهم دخلت لينا كثير من الالفاظ المعهودة مثل غفارم ودغري وبرضو وخردة وأوضة وشنطة ، وبهية ودشمان (العدو) وعشرات غيرها من الالفاظ التي أصبحت جزءا من تراثنا بالرغم من ذهاب الاتراك .

كل هذه التيارات امتزجت وتداخلت في اللهجة بحيث أصبح من الصعب ارجاعها لاصولها الا بعد جهد جهيد وقد نجد أحيانا أكثر من عنصر تمتزج في اللفظة الواحدة ، مثل معظم الكلمات التي تنتهي بالمقطع آب ، فهذا المقطع يجاوي يدل على النسبة أو المفعولية وكثيرا ما تكون الكلمة الرئيسية عربية مثل لفظ القرباب الذي تلبسه النساء فلفظة قرب لفظة عربية فصيحة معناها الخمر فكان الكلمة تعني الشيء الذي يخص الخاصرة وهو الثوب الذي يلف حولها . وعلى ضوء هذا يفسر بعض الباحثين لفظة أرباب التي استعملت بكثرة في زمن الفونج بمعنى «عربي» . وقد تكون الكلمة الرئيسية نوبية وتقرن بهذا المقطع التبدائي مثل لفظة ويكاب (لأن الويكة نوبية الاصل) . ويتجلى هذا الاثر بشكل أوضح في صفة النسبة فنحن عندما ننسب فردا الى عبد الله لا نقول عبد اللاوي (كما يفعل أهل مصر) وانما نقول عبد اللابي وخوجلاي وفتيحابي وقد طبع هذا الاثر لهجتنا حتى أصبح أمرا مألوفا ولا نفكر كثيرا في

عدم عروبه مع انه في الواقع ليس بعربي . وقد تأثرنا من ناحية التركيب أيضا بالاتراك حين نعبّر عن النسبة بالمقطع جي حتى في كلماتنا العادية التي لم نرثها عن الاتراك فنقول مثلا لعنجي (بدل لعبي) ولخنجي وسكرجي وخدرجي . ومن المقاطع غير العربية التي نستعين بها في التعبير عن الافراد وأحيانا عن التصغير المقطع آية : فنقول ونقصد المفرد غشاية وانداية وخرتاية (وأصلها خريطة) ، أو نقول للتصغير : نMLE : نسلاية ، وجة : حباية ، لحة : لحاية . ودراسة هذه الظواهر النحوية لهجتنا العامة تحتاج الى مجهودات كبيرة حتى يكشف النقاب عن أسرارها الخفية .

ودخلنا في القرن العشرين وخضعت البلاد للانجليز وتعرضنا للتيارات الغربية التي هبت علينا من كل صوب وتركت آثارها الواضحة في لهجتنا . وكثير من هذه الآثار تأقلم أو تعرب حتى كدنا لا نصدق انه اجنبي فمن اللغة الايطالية وصلتنا البنادورة ، البطاطس ، البسلة ، الفصولية ، البرنيطة،بطارية، بوليصة ، الباله ، الاسكلة ، السقالة ، الموضة ، الطاولة ، الكروسة ، كرتينة ، كسيالة ، لوكاندة ، وابور ، وردية ، اونطة وقسرة القطر Camera والفاتورة وعن الفرنسية دش ، تندة ، دركسون ، جرسون ، كرتون ، كبوت . وهناك آلاف من الالفاظ درجت على ألسنتنا وتقبلناها كجزء من تراثنا حتى كدنا قل أن نقرر بين القرش Groschen وهي الكلمة الاصلية في الالمانية والنسرة Number الايطالية والاونطا Aventa ايطالية أو نظن القليل هو Phial والسرويس Service والصلصة Sauce والبذرة Powder والباسطة Paste والميز Mess والورشة Workshop والمكنة Machine والبرندة Veranda والقراش Garage والترلة Trailer والانجيرة (الكسرة) من اللفظة الطليانية Manjari وتعني طعام ولعلها دخلت لينا عن طريق الحبشة ايام الحرب حيث أصبحت الكسرة تباع في قارعة الطريق .

الشخصية اللغوية

للهجة العامية السودانية

اللغة - أي لغة - جماع تجربة البشر في حدود الزمان والمكان ، وهي من هذه الناحية تتاج ظروف اجتماعية وجغرافية وتاريخية محددة تطبعها بطابعها الخاص وتسمها بيسم التفرد الذي يميزها عن غيرها من اللغات . وانطلاقاً من ذلك نستطيع ان نقول ان لكل لغة شخصية أو ذاتية خاصة بها تتسل في الطرق المختلفة التي تتولد بها الكلمات وتم بمقتضاها التراكيب وتنوع من خصوبتها وثرائها الاساليب واذا حاولنا ان تبين ملامح هذه الشخصية اللغوية في اللهجة العامية السائدة في السودان - مع اختلافاتها الطفيفة في الاقاليم المختلفة - فاننا لا بد من ان تنبه الى أن لهجتنا هذه مشتقة في معظم مفرداتها وتراكيبها من اللغة العربية وسماتها من هذه الناحية سمات اللغة الام . ولكن القول بأن العامية فرع من الفصحى - وان صح في بعض الجوانب - لا يقبل على اطلاقه ولا بد فيه من الهوامش والحواشي والذبول . فهناك احتمال النسو المستقل للهجات العامية . . بمعنى ان تكون اللهجة قد شقت طريقها منذ القدم بعيداً عن اللغة الام وتأثرت بظروف مفارقة لما كان عليه الحال في موطنها الاصيل . وحتى هذا التقسيم الى لغة أم ولهجات متفرعة فيه غير قليل من التجاوز والتعميم لاننا لا ندري على وجه التحديد ما هي اللغة الام خاصة في العربية . أهى اللغة الادبية السودجية التي يتحدث الناس عنها كثيراً ويسرفون في الحديث حين يدرسون الادب الجاهلي ؟ أم هي اللغة القاموسية التي تقدمها لنا الموسوعات اللغوية وهي فيسا يبدو خليط غريب من اللهجات لا تستقيم في كثير من جوانبها مع ما تواضع عليه علماء اللغة في القرن

أردت أن أخرج من هذه الدراسة السريعة للفظ العامية في منطقة الخرطوم وما جاورها بفكرة عامة مؤداها ان لغتنا حيث وجدت وليدة ظروف تاريخية واجتماعية متشابكة وبالتالي فهي على قدر عظيم من التعقيد . واذا كانت اللغة انعكاساً صادقاً للحياة فاننا نخلص من ذلك الى أن حياتنا وبالتالي شخصيتنا على قدر من التعقيد كبير بحيث لا يجدي فيها التعميم واطلاق الاحكام . هل نحن عرب ؟ هل نحن افريقيون ؟ هل نحن بين بين ؟

ان الاطار العام للهجتنا عربي فقد احتفظنا بكثير من الالفاظ والعادات العربية ولكننا كما رأينا قد طوعنا كثيراً من الالفاظ والمعاني العربية القديمة لتلائم ظروف حياتنا وبيئتنا ونستطيع ان نقول ان السمة الغالبة هي العربية او العربية المتأقلمة . . ولكننا ورثنا بجانب ذلك قدراً كبيراً من آثار الحضارات غير العربية والتي سبقت العرب ، وامتزجت كل هذه التيارات والعناصر بحيث أصبح من الصعب اطلاق أي اسم آخر على النتائج النهائي غير انه سوداني : وأعني بذلك ان لغتنا وشخصيتنا هي وليدة هذه البيئة التي صهرت في بوتقة الزمن كل التيارات الحضارية والانسانية التي تعاقبت عليها فأخرجت لنا هذه اللغة السودانية التي تعكس لنا الحياة السودانية والشخصية السودانية . ان أي مظهر من مظاهر حياتنا يعكس ظاهرة لتنازع وائتلاف العناصر هذه ، خذ مثلاً مظهر واحد من مظاهر النشاط الاجتماعي في حياتنا العرس : سنجند نفس الشريط الذي تحدثنا عنه في مجال اللغة عامة يتكرر : فالعقد والحنة والضرورة والبطان مثلاً تدل على التيار العربي والجرتق والعلجة والسومار والبرش والسوميت والسبابة تدل على التيار النوبي والشبال والسكسك تدل على التيار التبادوي . وقد تدل الدلوكة على أصل افريقي وهكذا وكل هذه الآثار المتناثرة قد امتزجت في وحدة عضوية لا تتجزأ هي العرس . وقد نلاحظ هنا كما لاحظنا في اللغة عموماً غلبة التيار العربي ولكننا لا نستطيع أن نفعل من حسابنا أثر التيارات الاخرى في حياتنا وفي تكوين شخصيتنا اذ أن اللغة ليست مجرد كلمات تذهب في الهواء بل هي مرآة صادقة لحياة الناس وعقولهم .

الثاني الهجري من اقتصارهم في الاستشهاد على تلك القبائل الست أو السبع التي شهدوا لها بالفصاحة دون سائر العرب ؟ والواقع ان ما حدث في ذلك الماضي السحيق عظيم الفائدة في القاء الضوء على ما يمكن ان يكون قد حدث في أمر العاميات جميعا . لان ما يمكن ان يسمى باللغة الام أو اللغة الفصحى أو اللغة النموذجية قد حدث تحت ظروف معينة فرضت على القبائل العربية ضرورة الالتقاء في مكان واحد هو السوق — حيث كان في أنحاء شبه الجزيرة للتجارة والميرة — ، أو هو الكعبة للحج والنسك ، فاحتاجوا للتفاهم وكانت قريش أكثر القبائل استقرارا وتجارة ومالا وبالتالي حضارة خاصة ورحلاتها في أطراف الجزيرة قد أتاحت لها أعظم الفرص لاثراء لغتها وضم ما تراه مفيدا من لهجات القبائل الأخرى التي تتعامل معها . . وكانت قريش النواة التي يلتف العرب حولها تجارة وحجا ومن ثم أصبحت لغتها العمود الفقري للهيكل اللغوي الذي يتم عن طريقة التفاهم بين مختلف القبائل . . وبالطبع ما كان ذلك ليحدث لو أن الخلافات بين اللهجات العربية كانت جوهرية . والشاهد في كل ذلك ان الهيكل اللغوي الذي تم عن طريق التقاء العناصر المختلفة واحتكاكها في الاسواق والمحافل خلال القرون نجم عنه ما سمي باللغة النموذجية التي يفهمها المثقفون من العرب ، وهي من هذه الناحية وليدة ظروف خاصة وبيئة خاصة ، ولكنها — لهذا السبب — لم تلغ اللهجات الخاصة للقبائل . فقد كانت هذه تتفاهم بلهجاتها الخاصة حين ترجع الى ديارها من مواسم الحج ومحافل التجارة .

وهاجرت المجموعات العربية الى خارج جزيرة العرب — قبل الاسلام في أعداد ضئيلة وبعده في موجات كاسحة — وكانت تحصل معها بالطبع تراثها اللغوي الموروث والمكتسب . ولكن الانسان ابن البيئة وهو في ذلك خاضع لما تليه عليه الظروف . وباتتقال العرب الى هذه الاراضي الجديدة تغيرت البيئة وتغيرت الظروف وكل ذلك يفرض وجوده على الكيان العقلي واللغوي شكلا وموضوعا . وأهم ما يمكن ان يلاحظ في هذا المجال هو ان اللغة النموذجية التي فرضتها الظروف على بعض العرب بفعل عوامل اجتماعية وتاريخية محددة

وهي من هذه الناحية مصطنعة خاصة اذا نظرنا اليها خارج اطارها الاجتماعي التاريخي — هي أول ما يتأثر بتغير البيئة . لقد انطلقت القبائل مجتمعة ومتفرقة تحمل لهجاتها معها وهذه اللهجات هي العنصر الأكثر ثباتا ودواما لاتصالها بحياة الناس في كدحهم اليومي ، وحكمت عليها الظروف ان تلتقي دون سابق تخطيط في بقع معينة من الارض : في شمال افريقيا ، في مصر ، في السودان وفي غيرها من بلاد العرب وحدثت تشكيلات جديدة في خريطة التوزيع القبلي . والتقت قبائل ما كانت تجمع بينها من قبل رابطة . وافتقرت أخرى كانت متصلة ببعضها أوثق اتصال . وتلفتت القبائل في بيئاتها الجديدة فاذا بكل مظهر للحياة يوحى بانفصام روابط الماضي ويدعو الى الابتكار والاجتهاد في مجالات الحياة المختلفة . . فليست هناك أسواق للتجارة ومحافل للتفاهم وتبادل الافكار ، وليست هناك كعبة يأتون اليها من كل فج عميق ، وفوق كل ذلك ليست هناك قريش تجمع شمل هؤلاء القوم اللغوي بلغتها تلك النموذجية المصطنعة . وكان ما ليس منه بد . وانكفأ القوم — على اختلاف قبائلهم — في الاراضي الجديدة على أنفسهم يضطربون ويلتحمون حينا ويلتقون في وئام ومودة حينا واستقر منهم من استقر في مواطن الحضرة وتبدى منهم من تبدى في الفياضي والقفار واحتاجوا الى أداة مشتركة تربط بينهم دون أن يصدموا في كل لحظة بتنافر الالسنه واختلاف التراكيب . وكما حدث الاتفاق والتواضع اللاشعوري من قبل وانتهى في داخل الجزيرة الى وضع لغوي مشترك مريح حدث الامر من جديد في الاقاليم الجديدة التي استقر فيها العرب . وكان ان ظهرت العاميات العربية كل عامية تختلف عن عامية المنطقة الأخرى باختلاف نوعية القبائل التي جمعت بينها الظروف في المكان والزمان وباختلاف البيئة والظروف التاريخية التي تعرضت لها وكانت لغة قريش واحدة فقط من عشرات اللغات او اللهجات التي دخلت في البوتقة الجديدة لتتصهر مع غيرها وتخرج لنا ما نعرفه الآن من لهجات العالم العربي .

واذا أخذنا السودان مثالا لعملية التلاقح والانصهار اللغوي هذه فانتا

نلاحظ شبا آخر بالصورة اللغوية القديمة في شبه الجزيرة العربية ، فقد تكونت في الماضي وتحت ظروف حضارية معينة لغة تجمع بين المجموعات المتنافرة ولكنها كما رأينا لم تلغ اللهجات الخاصة للقبائل ، وإذا قارنا ذلك بما نلاحظه اليوم في السودان نرى الصورة اللغوية شبيهة بتلك القديمة . لقد أصبح النيل - وهو عمود الحياة الفقري ومقر الحضارة والحياة المستقرة - الكعبة التي ينفذ اليها العرب مهما ضربوا بابلهم وحيواناتهم في الصحراء شرقا وغربا وجنوبا وشمالا . ومعنى ذلك ان القبائل العربية التي استقرت على ضفاف النيل أصبحت القاسم المشترك بين بقية القبائل العربية التي واصلت حياتها القديمة في الصحراء . ولعل ذلك أيضا لم يحدث بطريقة عشوائية بل كان استجابة لازمة لوضع هذه القبائل قبل هجرتها . فقد تكون القبائل التي استقرت على النيل واصطنعت الزراعة حرفة قد كانت في ماضيها أيضا مستقرة وبالتالي فقد كانت أكثر استعدادا للاخذ بأطراف التحضر والتمدن من أخواتها المتبدية لان الطبع يغلب التطبع والبدو في كل زمان ومكان يأنفون من وخم الحاضرة وينفرون من أوضار المدينة . وكانت النتيجة لذلك أن أصبحنا نرى ظاهرتين لغويتين في السودان الظاهرة الاولى هي اللغة العامية النيلية التي تتكلمها القبائل المستقرة التي تعيش على النيل والظاهرة الثانية هي اللغات العامية التي تتكلم بها القبائل المتبدية والقبائل شبه المتبدية كالشكرية في البطانة والكبايش وغيرهم من قبائل غرب السودان . فاللغة العامية النيلية المنتشرة في وسط السودان قد أصبحت بحكم اتصال القبائل العربية ببعضها والتقاءها على ضفاف النيل للتجارة والتعليم وما اليه هي اللغة المشتركة وتضم من هذه الناحية أمشاجا مختلفة من اللهجات العربية القديمة بالإضافة الى عناصر أخرى . وبعبدا عن النيل احتفظ اصحاب كل منطقة بطابعهم اللغوي الخاص ومن هنا رأينا في لهجة الكبايش مثلا هذا التميز الواضح في المفردات والصوت وأحيانا في التراكيب وقل مثل ذلك في البقارة والشكرية وغيرهم من المجموعات التي تعيش في أطراف المنطقة النيلية . ولكننا ونحن نتحدث

عن هذه اللهجات القبلية يجب أن نتنبه الى أن هذه القبائل المتبدية ذاتها خليط من مجموعات مختلفة وبالتالي فلهجاتها أيضا نتيجة حتمية لاختلاطها ببعضها بعضا وما يمكن أن نسميه بلهجة الكبايش مثلا هو في الواقع النتاج النهائي لعملية تلاقي وصهر بين مجموعات بدوية عاشت في نفس المنطقة . وكل ما قل اختلاط القبائل العربية بالسكان الاصليين كلما كانت لغتهم في مجموعها أقرب الى اللهجات العربية القديمة ولهذا السبب عينه نلاحظ التفاوت في نسبة الالفاظ الدخيلة من غير العربية في لهجات هذه المجموعات خارج الحزام النيلي . وقد يلاحظ المرء في هذا المجال تأثير الشكرية وغيرهم من قبائل الشرق باللهجات البجة المختلفة وورود كثير من الالفاظ التبدائية في صلب اللهجة العربية .

وإذا تناولنا هذه اللهجة أو اللهجات النيلية التي تشكل في مجموعها أداة التفاهم المشتركة في شمال ووسط السودان فالتنا فيها تفاوتات عظيمة الأهمية لما ينضوي تحته من حقائق بشرية وسكانية تلقي بعض الضوء على طبيعة التكوين القبلي والحضاري ومدى اختلاط العرب بغيرهم من سكان البلاد الاصليين . فإذا تتبعنا النيل من الشمال متجهين جنوبا نجد أن اللغة النوبية في أقصى الشمال ما تزال باقية باللهجات الأربع الكنزية والسكوتية والمحسية والدنقلوية وان كان هناك أثر للعربية فهو أمر يتم عن طريق التعليم والاختلاط والنزوح . المهم ان لغة الام ولغة التفاهم أيضا هي النوبية في احدى شعبها الأربع . وبقاء هذه اللغة حتى عصرنا الحاضر أمر جدير بالبحث لانه يعني أشياء كثيرة تتعلق بهجرة العرب واقامتهم اذ أن الشمال يعتبر من أهم المنافذ التي دخل عن طريقها العرب من مصر الى السودان . وصلة العرب بهذه الاصقاع قديمة جدا فقد ذكرت مصادر التاريخ ان معاهدة البفط التي عقدها عبد الله بن أبي سرح مع النوبة في مملكة المقررة بعد أن حطم دقلا العجوز أتاح للعرب المسلمين الحق في بناء مسجد والسماح لهم بعبور الاراضي النوبية والتجارة فيها . وإلى الشمال من ذلك كانت تقوم مملكة المريس النوبية في الجانب المصري واتصل بها العرب خاصة بنو كنز الدولة منذ نهاية القرن

الشايقية - وضوح ظواهر مميزة تطبعها بطابع خاص يمثل في الحركات الصوتية وفي الاداء كوضوح الامالة بالياء في أواخر بعض الكلمات وفي احتفاظها بقدر كبير من الالفاظ النوية الاصلية وكل ذلك يجعل من اللهجة الشايقية مجالا مفيدا للبحث عن المؤثرات الثقافية والحضارية التي تعرضت لها المنطقة .

وتسيز الشايقية بكل هذه الظواهر أمر هام ان دل على شيء فانما يدل على أن هناك عناصر محددة - قبلية وتاريخية واجتماعية - قد لعبت دورها وطبعت المجموعات الشايقية بهذه السمات المشتركة التي تبرزها لنا لهجتهم خاصة وليست بينهم وبين اخوانهم من الرباطاب وغيرهم من حدود مستعصية تجعل انتقال هذه المؤثرات اليهم أمرا مستحيلا . ومثل ذلك يقال عن الرباطاب واخوتهم المناصير الى بربر حيث تسيز اللهجة وتبرز فيها ظواهر أخرى صوتية وتركيبية مع الاحتفاظ بقدر كبير من الالفاظ النوية والملاحظ هنا ظاهرة اختزال اواخر الكلمات مما يعرف بالترخيم وهو أمر معروف في العربية ، وهذا كله يجعل من هذه المجموعات وحدات خاضعة لعوامل محددة أكسبتها هذه الصفات دون غيرها من جيرانها شمالا وجنوبا وهذا التميز الذي يبرز واضحا في هذه المجموعات النيلية سواء أكان في ديار الشايقية أو في ديار الرباطاب وغيرها يثير الكثير من التساؤل خاصة اذا قارنا ذلك بالوضع اللغوي الذي يسود المناطق الوسطى من النيل حيث تجري في صلب اللهجة - مع اختلافات طفيفة محلية هنا وهناك - تيارات متشابهة ان في طريق الاداء الصوتي او التركيبي ، هل يعني ذلك ان القبائل العربية التي أقامت في هذه الديار قد انكفأت على نفسها ولم تتصل بغيرها من المجموعات الامر الذي طبع هذه المناطق بهذه الميزات اللغوية الواضحة ؟ أم أن لهجة من هذه اللهجات كانت تشل غلبة قبيل بعينه من قبائل العرب فرضت سيطرتها على المنطقة واستبدت بها خاصة وقد كانت كل هذه المناطق على النيل مسالك منفصلة تنتظم مجرى النيل كحبات العقد ، ام ان قيامها في منطقة مسلكة المقررة النوية طبعها بطابع خاص ميزها

الثاني عشر الميلادي وتغلبوا عليها في القرن الرابع عشر . ولكن اللغة التي تخلفت عن كل ذلك ليست بعربية وان أطلق عليها اسم عربي . فان اللغة الكنزية نسبة الى كنز الدولة لغة نوية صميّة وهي أقرب لكمة ونسبا الى اللغة الدقلاوية منها الى لغتي المحس والسكوت وذلك يرجع الى عوامل جغرافية وتجارية اذ ان الطريق التجاري كان يربط بين دقلا والمريس ويتجافى عن أرض الحجر المجذبة المليئة بالشلالات التي يقيم فيها المحس والسكوت ولعل ارتباط اسم العرب منذ القدم بدقلا والمريس دون سائر المناطق التي تقع بينهما يؤكد هذه الحقيقة أيضا . وعلى الرغم من كل ذلك احتفظ أهالي هذه المناطق جميعا بلغاتهم الخاصة وان اتخذوا الاسلام ديناً وهذا أمر لا يفسر الا بأحد أمرين أولهما أن يكون عدد العرب الذين استقروا في هذه المناطق قليلا جدا فذابوا في السكان الاصليين ولم يبق من آثارهم الا اسم الاسرة المالكة الكنزية التي أطلق اسمها على اللغة النوية في المنطقة . وثانيهما أن يكون العرب لسبب أو لآخر قد مروا على كل هذه المناطق مرور الكرام واتخذوها معبرا لما وراءها من بلاد ولذلك لم يدخلوا مع سكان المنطقة في صراع حضاري يترك آثارا بارزة في التكوين اللغوي لهذه المجموعات وسواء أكان السبب هذا أو ذاك أو الاثنين معا فان هذه المناطق الشمالية من النيل من وادي حلفا الى منطقة الدناقلة قد احتفظت بأدواتها اللغوية الخاصة وان دخلتها بعض المفردات العربية خاصة الدينية الاسلامية .

وعندما تنتقل الى ديار الشايقية ندخل في منطقة الحزام اللغوي الذي يتخذ العربية في صورها المختلفة لغة أم . فان الشايقية ليست لهم لغة أخرى غير العربية مما يعبرون عنه بالروانة ومعنى ذلك أن النفوذ العربي هنا كان قويا مما نجم عنه أحد أمرين اما القضاء على السكان الاصليين أو اماتة لغتهم النوية واحلال العربية محلها . ومثل هذا الكلام ينطبق على المجموعات القبلية التي تمتد حتى ملتقى نهر عطبرة على النيل من رباطاب ومناصير وميرقاب وغيرهم . والذي يسترعي النظر في لهجتي الشايقية والرباطاب - وخاصة في لهجة

عن المجموعات التي تقع جنوبها في منطقة مسلكة علوة التي امتدت حتى الابواب بالقرب من شندي ؟ أيا كان الوضع فإن تفرد هذه المجموعات الشمالية بهذه الميزات اللغوية يدل في عومه على ضرب من العزلة عن بقية المجموعات مما أتاح الفرصة لهذه الميزات اللغوية ان ترسب وتتخذ الشكل الذي نراها عليه الآن .

أما البوتقة الكبرى التي تم فيها الاختلاط والصراع والامتزاج على أبعد مداه ، فهي المنطقة الوسطى من النيل التي تمتد من بربر وتنظم قدرا كبيرا من منطقة الجزيرة ، ان الاراضي هنا أكثر اتساعا وأعظم فائدة ويمثل حوض النيل فيها قاعدة ثابتة تركز عليها القبائل المتبدية في شرق النيل وفي غربه . ان النيل الذي كان يشق الصخر والصحراء الى الشمال ويلمع كالسيف وسط الظلام قد تغيرت طبيعته هنا بعض الشيء بتغير المناخ والظروف الطبيعية ، شريط النيل في الشمال هو عصب الحياة الوحيد وتقوم على جانبيه كل مظاهرها وما عداه عدم في عدم ، فليست هناك أمطار تسح بسكنى العرب الرحل الى شرق أو غرب ومن هنا كانت الحياة منحصرة على النيل ولزم كل قوم موطنهم وقل الاختلاط بينهم وبين غيرهم خاصة والارض محدودة وخيرها لا يتعدى ساكنها ولعل ذلك كله سر احتفاظ المجموعات النوبية في أقصى الشمال بلغاتها وسر احتفاظ المجموعات التي تأثرت بالعرب فذهبت لغتها الاصلية واتخذت العربية لسانا بسميات خاصة لحظناها في الشايقية وغيرهم من المجموعات الشمالية ، أما في هذه المنطقة الوسطى فإن النيل وان كان هو العمود الفقري للحياة لكنه ليس وسيلة البقاء الوحيدة ، فان المطر يفتح آفاقا واسعة للحياة في الاراضي الواقعة الى شرقه وغربه ، ومن هنا اكتظ شرق النيل في منطقة البطانة ونهر عطبرة بالقبائل الرعوية وشبه الرعوية التي تتخذ الزراعة المطرية سببا من أسباب العيش ، ومن هنا اكتظ غرب النيل في منطقة الوسط هذه بألوان من القبائل نعرفها الآن في كردفان ودارفور استقر بعضها في المدن واتخذ الزراعة المطرية اسلوبا وما يزال بعضها مترحلا طلبا للماء والكلأ ، اذن هناك حزام عريض يمتد من شمال ملتقى نهر عطبرة بالنيل الى مشارف الجنوب في

منطقة الجزيرة حيث تلتقي السافنا بالغابات الاستوائية ، وهذا الحزام يضم المساحات الشاسعة المطرية شرق النيل وغربه .

الوضع اذن شبيه بطائر ضخم جسده وقلبه في النيل ويستقل بجناحين قوين في شرق وغرب ، لم يعد شريط النيل منكفئا على نفسه مستقلا بسكانه كما هو الحال في الشمال بل أصبح قاعدة عريضة تلتقي عندها كل هذه المجموعات الضخمة في الشرق وفي الغرب ومن هنا كان خطر هذه المنطقة في حياة البلاد السياسية والاجتماعية فمن التقاء هذه العناصر وامتزاجها بالسكان الاصليين نجمت كل التحولات الكبيرة التي طبعت المنطقة بطابعها السياسي والثقافي فمسلكة القونج قامت في جنوب هذه المنطقة وسلطنة العبدلاب ومن تبعهم من الملوك والمكوك قامت في وسطها وشمالها ، وبما ان تفاعل كل هذه العناصر كان بعيد المدى ويتركز في منطقة محدودة هي ضفاف النيل فان اللهجة التي نجمت عن ذلك والتي يتحدث بها الناس من منطقة الجعليين في مقرن العظيرة الى أجزاء كبيرة من الجزيرة تتسم بسمات محددة تشترك فيها كل المجموعات التي تسكن هذه المناطق مع اختلافات طفيفة تسليها عناصر البيئة والحياة الاجتماعية ومن هنا تحدثت هذه المنطقة النيلية الوسطى بلهجة تكاد تكون واحدة مع اختلاف القبائل التي سكنتها والتي ما تزال تحتفظ حتى اليوم بأسسائها المعهودة لدينا في حين احتفظت المجموعات الاخرى في المناطق الشمالية والشرقية والغربية بلهجاتها المتميزة سواء عند الشايقية او الرباطاب في الشمال او الشكرية ورفاعة في الشرق او الكبابيش والبقارة وقبائل غرب السودان الاخرى في الغرب ، والانسان حين يتحدث عن اختلاف اللهجات سواء أكان ذلك على النيل أو بعيدا عنه فانه يتحدث عن كل ذلك حديثا نسبيا ويسترشد في ذلك بالوضع اللغوي الذي كان يسود شبه جزيرة العرب في الماضي والذي قلنا انه يشبه الى حد كبير الوضع القائم في السودان ، فان كل العرب ماعدا أقاصي اليمن في قولة أبي عمرو الشهيرة — كانت تتكلم اللسان العربي والخلافات بينها في ذلك كانت شكلية كما ظهر ذلك في القراءات القرآنية وفي كتب النحو والغريب التي ركزت

على اختلافات لغات غرب الجزيرة في الحجاز ونجد ولغات شرق الجزيرة التي تشلها تميم ، وكذلك الامر في السودان فان جميع هذه المجموعات التي تتخذ العربية لسانا تتفق في قدر كبير من حصيلتها اللغوية وتستطيع التفاهم مع بعضها نسبة للاصل اللغوي المشترك منذ القدم أولا ، ولالتقائهم جميعا في اطار الديار السودانية مما جعل التأثير والتأثير أنفذ مفعولا ، ومما يدل على أهمية هذا العامل الاخير انتشار بعض الظواهر اللغوية التي يظن ان اصلها غير عربي في معظم هذه اللهجات السودانية سواء أكان ذلك في الشمال أو الشرق أو الغرب أو الوسط : في الحاضرة والبادية مما يؤكد فعالية حركة التأثير في جميع الاطراف المعنية ، ولعل اول ما يخطر بالبال في هذا الصدد مقطع النسبة (اب) الذي تنتهي به أساء معظم القبائل السودانية مثل الميرفاب وقل ان تجد مجموعة من القبائل لا ينتهي بعض فروعها بهذا المقطع الذي هو بجايو الاصل كما وضحت ذلك في دراسة سابقة .

ولكن هذه النسبة لا تحول بيننا وبين ملاحظة ان هناك لهجة عريضة مشتركة في النيل الاوسط تقوم مقام اللغة المشتركة القديمة التي اتخذت من لغة قريش وعاء في مواجهة اللهجات القبلية الخاصة وهذا أمر واضح فان الفاظ المتبدلين فيها الوعورة لالتصاقها بحياة الصحراء وما يتصل بها من حيوان ونبات ومظاهر أخرى للطبيعة واذا حاولنا دراسة لغة الشكرية أو الكبابيش كشال للهجة القبلية الخاصة فالتنا نجد أن الالفاظ التي تختلف فيها عن القدر المشترك الذي ذكرناه تتسل في المصطلحات الخاصة بالرعي والجمال والمطر والسحاب ولمعان البروق والرياح والادوية وأساء النباتات والحيوانات والطيور وما يتصل بكل ذلك من حياتهم ومثل ذلك نجده عند البقارة الذين تختلف ظروفهم عن ذلك بعض الشيء مما ينعكس أثره على اللغة في حين نجد أن مجموعة أخرى تعيش في بيئة مغايرة كديار الشايقية مثلا حيث تلتصق الحياة بالنهر والجزائر والجروف ويكثر النخيل تتوسع في الالفاظ الدالة على كل هذا النشاط الحيوي فتزدحم لهجتها باصطلاحات التسور والسواقي وأنواع الاراضي

والنباتات مسا لا عهد للعرب القدماء به ومن ثم نجد ان معظم هذه الالفاظ في لغة الشايقية نوية الاصل مما يفسر احتفاظ لهجتهم بهذه النسبة العالية من الالفاظ في الوقت الذي تزخر فيه نفس اللغة بقدر عظيم من الالفاظ العربية قلما يتيسر وجوده في لهجة أخرى من لهجات السودان .

واذا تناولنا هذه اللهجة المشتركة التي تسود النيل الاوسط فان لاجراء المقارنة بينها وبين اللغة القديمة المشتركة في العربية اغراء الذي لا يقاوم فكلتاها كانت ترتكز على قاعدة تستقطب حياة المتكلمين بها وهذه القاعدة هي الكعبة وأسواق التجارة في حالة العربية المشتركة وهي النيل الاوسط الخالي من شوائب الشلالات في مجراه والذي ترفده الامطار في شرقه وغربه في حالة اللهجة السودانية المشتركة ، والملاحظ ان تلك اللغة القديمة المشتركة قد اتخذت من لهجة قريش وعاء لها كما ذكرنا وامتلأ الوعاء بالفاظ وتراكيب من كل حذب وصوب حتى تلبى حاجات الناطقين بها المختلفة ، واذا عكسنا القياس في حالة اللهجة السودانية وبدأنا بالنتائج فان واقع الحال يبدو وكأن هذه اللهجة السودانية خليط من لهجات القبائل المختلفة وقد ذكرنا من قبل انها في عمومها قاسم مشترك بين مختلف المجموعات فقد ضمت في حوزتها معظم المفردات المشتركة وبرزت فيها التأثيرات بالبيئة على نطاق البلاد ككل كما سنرى بعد قليل وتجافت عن الخصوصيات الضيقة التي تتسم بها اللهجات الاقليمية أو القبلية الاخرى ، فهل يستقيم لنا القياس عكسا ونخرج من هذه النتيجة المشتركة في الحالتين الى ان هناك لهجة بعينها كانت من القوة ومن الثراء وكان أصحابها من النفوذ والقدرة بحيث تقوم مقام الوعاء في حالة اللهجة السودانية المشتركة كما قامت من قبل لغة قريش في حالة اللهجة العربية المشتركة ؟ هل يصح لنا ان نزعم — وقياسا على ما حدث في الماضي البعيد — ان الحس اللغوي القديم قد يكون فرض وجوده أيضا في حالة السودان ؟ واذا أعوزتنا قريش في هذه الحالة كعامل اساسي في فرض هذا الوجود اللغوي فان البحث لن يطول بنا قبل ان نعثر على مجموعة بعينها في منطقة النيل الاوسط هذه تستمع بمرکز

قوي وتنتشر أكثر من غيرها في المنطقة قد تكون قامت بدور مماثل لما قامت به قريش في الماضي القديم .

ان الشواهد قوية على ان المجموعة الجعلية - دون ان نخوض في أصلها وصحة نسبتها وما الى ذلك من مسائل شائكة - التي استقرت في هذه المنطقة ولعبت أدوارا كبيرة في الحياة السياسية والاجتماعية لهذه المنطقة قد لعبت أيضا دورا رئيسيا في تشكيل الاداة اللغوية التي تسود المنطقة والانسان لا يحتاج الى مجهود كبير ليتصور ان الوضع القبلي في السودان عامة كان - كما ألمعنا من قبل - استجابة لضرورات حيوية وهو في ذلك تكرر لوضع مارستها هذه القبائل في حياتها في شبه الجزيرة دون أن نستبعد احتمال حدوث تغيرات جذرية في حياة بعض القبائل من جراء الهجرة كأن تستقر المترحلة وترحل المستقرة ولكن ذلك في الغالب لا يلغي الحكم في عموميه وعليه فان القبائل التي استقرت على النيل فعلت ذلك في الغالب تمشيا مع نوع الحياة المستقرة التي مارستها في حياتها السابقة وكذلك فعلت القبائل المتبدية كما لاحظنا من قبل وهناك احتمال قوي ان تكون الروابط بين هذه المجموعات المستقرة قديمة بحيث اتاحت لها ان تنسج حولها أسطورة أو حقيقة النسب الواحد الذي تنفرع منه هذه المجموعات النيلية الجعلية والتي تضم في اطارها العريض الشايقية والرباطاب والميرفاب والمناصير والجوابرة والجموعية وغيرهم بالإضافة الى الجعليين الذين يسكنون بين مقرن العظيرة وحجر العسل والتيزير اللغوي بين بعض هذه المجموعات مرده الى اختلافات الجغرافية والتاريخ أكثر منه الى اختلافات جوهرية في أصل اللغة فقد لاحظنا من قبل ان المجموعات الشالية خاصة الشايقية والرباطاب ، تتكلم بلهجات قلنا انها خاصة اذا قورنت بلهجة الاجزاء الوسطى من المنطقة النيلية . وفقر مناطق هذه المجموعات وصعوبة الاتصال بها وما ترتب على ذلك من هجرة نحو الشمال والجنوب طلبا لاتساع الرزق ضيق من دائرة لهجاتها وحصرها في نطاقها المحدود فأصبحت لهجات متميزة مثلها في ذلك مثل لهجات القبائل المتبدية المحصورة بالمثل في صحرائها

وتنتقل اللهجة من الخصوصية الى العمومية عندما ندخل منطقة الحزام العريض الذي ذكرناه من قبل حين قلنا ان الحياة تركز فيه على النيل كقاعدة وتنتقل منه في دوائرها تنتظم الشرق والغرب مثلما تنتقل دوائر الماء حين تلقي في وسطه بحجر . وهذا كله اثره للحياة ومن ثم فهو اثره للغة وبمقتضاه اكتسبت عموميتها في حين ضاقت قواعد الحياة للمجموعات الاخرى فضاقت بضيقتها لهجاتها .

وحينما نحاول بحث العوامل التي أكسبت هذه اللهجة عموميتها فان أهم ما يجهنا هو علاقة القبائل العربية بسكان المنطقة الاصليين من النوبيين . فان هذه المنطقة حين دخلها العرب كانت تعج بالحياة وكانت مركز الثقل في هيكل البلاد السياسي والاجتماعي والدور الذي تلعبه في حاضرها شبيه بدورها في الماضي . اذ قامت فيها مملكة علوة الغنية ومنها امتد نفوذها والامر الذي لا جدال فيه انها كانت مزدهمة بالسكان بحكم طبيعتها الغنية مما يشهد به أسماء المدن والقرى التي ما تزال الى اليوم تحتفظ بصيغها النوبية القديمة . وما انتهى اليه أمر العلاقة بين العرب والنوبة هنا يمكن أن يستشف بالمقارنة التي تتيحها لنا المقاييس الحضارية الدقيقة التي تنتظم مجرى النيل . فاننا اذا تصورنا مجرى النيل من شمال الى جنوب كثرموتر أو مقياس حضاري فسنلاحظ ضالة النفوذ اللغوي العربي كلما ذهبنا شمالا وكثافته كلما اتقلنا جنوبا ، ففي أقصى الشمال كما لاحظنا تسود اللهجات النوبية الاربع وفي منطقة الشايقية واخوانهم تتميز اللهجة بتيار قوي من الاثر النوبي ويضعف هذا الاثر كلما اتقلنا الى الجنوب ولكنه لا يتلاشى البتة ، وكل ذلك مقياس لتكاثف الضغط العربي على أصحاب هذه المناطق . فحين قل الضغط في أقصى الشمال بقيت اللهجات القديمة وحين زاد قليلا وانحصر في منطقة جغرافية لا تسبح بالحركة القوية كما في ديار الشايقية والرباطاب بقيت ألفاظ نوبية كثيرة وحين تكاثف واستشرى كما في منطقة النيل الوسطى قلت الكلمات النوبية الى حد كبير ولكن تغلب اللغة العربية في منطقة الوسط هذه على اللهجات النوبية بهذه

الطريقة أمر يحتاج الى أكثر من عامل التغلب العسكري لتفسيره لأن اللغات لا تسوت بانكسار شوكة الناطقين بها في كل الاحيان والامر فوق هذا وذلك يعود الى طبيعة المنطقة ذاتها التي ظلت مركزا للمثل الحضاري على مدى الزمان. لقد كانت هذه المنطقة الوسطى البؤرة التي تلتقي عندها أشعة الضوء من كل جانب فتصهر ما تحتها وتحيله الى شيء جديد يحصل خواص العناصر المختلفة المكونة له . أو قل هي المصب الذي تفضي اليه الروافد وتستقر عنده مسارب المياه . فان العرب الذين مروا مرور الكرام بأقصى الشمال وأقام منهم من أقام على خصاصة ومسغبة في بعض مناطق التي تسمح بالحياة لعدد محدود من الناس قد وجدوا رغدا ومتسعا في منطقة الوسط هذه فاستقروا فيها . والعرب الذين جاءوا عن طريق البحر الاحمر وضائق بهم الفيافي والقفار واصلوا زحفهم الى النيل واستقر منهم من استقر عليه وانتقل منهم من انتقل الى غربه . ولهذه الحركة المتصلة للقبائل الاثر الكبير في طغيان العنصر العربي على اللهجة . ولكن الحياة على النيل مستقرة والقبائل العربية التي استقرت اتصلت اتصالا مباشرا بالنوبة المقيمين قبلهم وكل ذلك أحدث آثاره البعيدة في تكوين اللغة ونطقها مما تحدثنا عن بعضه في مجال آخر . ولأن المنطقة كانت ملتقى طرق وبوتقة لمختلف التيارات وكانت في نفس الوقت معبرا تنتقل منه أو عليه القبائل من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق ومن الشمال الى الجنوب فقد أثر كل ذلك على اللغة النوبية التي كانت سائدة فاندثرت الا من بقايا ما تزال تحتفظ بها اللهجة العامية الى يومنا هذا . وما يؤكد ان هذه المنطقة كانت مصبا للبشر ولتيارات الحضارية انتقال ظواهر لغوية من أماكن مختلفة اليها دون أن تكون هناك علاقات مباشرة بينها وبين تلك الاماكن فالتيار البجاوي — وقد تحدث عنه في « العامية في السودان » — الذي ينعكس بقوة في مفردات اللهجة وتركيبها هو أوضح دليل على انصباب تيارات بشرية قوية في المنطقة آتية من الشرق ولعلها قبائل عربية عاصرت البجا وتأثرت بهم وانتقلت الى المنطقة فأحدثت التأثير البجاوي فيها ومنها انتشر في معظم انحاء البلاد التي تتحدث باللهجات العربية .

ونستطيع ان نجعل القول في أمر هذه التيارات البشرية والحضارية التي ازدهت في هذه المنطقة وتلاحمت ثم تلاقحت وامتزجت فنقول انها انتهت بتكوين منطقة تعادل لغوي في وسط السودان يمثل فيها القدر المشترك بين كافة القبائل العربية في السودان الى جانب ما تأثرت به هذه القبائل بحكم اتصالها بالسكان الاصليين سواء كانوا البجة في شرق البلاد أم النوبة في حوض النيل أم العناصر النيلية الى الجنوب أو الدار فورية الى الغرب . لقد حدث التوازن بين كل هذه العناصر في هذه البوتقة وانصقلت التواءات والزوائد بفعل الزمن كما تنصلل الحجارة في مجرى النهر . وقد تحكمت البيئة الى حد كبير في عملية الامتصاص والرفض فجاءت اللهجة الناجمة عن ذلك معبرة عن بيئة حضرية مستقرة زراعية شبه رعوية لقرب أماكن الرعي منها وبذلك تجافت عن كل الكلمات الحوشية المتصلة بحياة الصحراء والتي تعج بها لهجات القبائل التي ظلت على حياتها المتبدية كالكبائش والشكرية والى حد ما البقارة على سبيل المثال لا الحصر . وبحكم استقرار المتكلمين بها في قلب منطقة التجمعات الحضارية القديمة فان الجهود التي بذلت لتطويع العربية لتلائم البيئة الجديدة كانت أكبر من الجهود التي يحتاج اليها البدو مثلا الذين يعيشون في البادية والذين يقل اختلاطهم بغيرهم ولذلك تسميز لهجاتهم بالاحتفاظ بقدر كبير من الالفاظ والتعابير العربية القديمة . ومن هذه الناحية فلا يستطيع الباحث أن يقول ان لهجة النيل الاوسط هذه نموذجية من حيث الحفاظ على أكبر قدر من الالفاظ العربية الفصيحة بل الاقرب الى الواقع ان يقال ان العربية هنا وبحكم اتصال العرب الوثيق بالنوبة على أوسع نطاق قد تأقلمت وتطوعت لتلائم البيئة في الوقت الذي استمرت فيه لهجات البدو دون كبير تغيير الا في الحدود التي ألغنا اليها من قبل . ويجب أن يذكر هنا أن عبء حمل الثقافة العربية الاسلامية ونشرها كان يقع على كاهل هذه المنطقة مما دعم من مركز العنصر العربي في اللهجة ورفدها بتيار قوي عصصها من فقدان اطارها العربي على الرغم من تحديات البيئة الجديدة فعامية النيل الاوسط هذه اذن نموذجية لا من حيث

بعض مظاهر الفصحى

في عامية السودان

يلمح الدارس لعامية السودان أوجه شبه كبيرة بين الوضع اللغوي السائد في مناطق السودان التي تتحدث العربية لغة أم وبين الوضع اللغوي الذي كان قائما في وسط جزيرة العرب قبل ظهور الاسلام وبعده بقليل . ففي السودان قدر كبير مشترك من « لغة عامة » يتفاهم بها الجميع رغم السمات المميزة للهجات « الخاصة » الاقلية والقبلية وذلك شبه باللغة « النودجية » المشتركة بين قبائل العرب والتي اتخذت من لهجة قريش اطارا عاما لها مع احتفاظ كل قبيل أو اقليم بخصائصه اللغوية المميزة . ولعل منطقة حوض النيل الاوسط التي تمتد من بربر وتنظم قدرا كبيرا من منطقة الجزيرة حيث استقرت كثير من قبائل العرب وعلى رأسها مجموعة القبائل الجميلة هي مركز الثقل في عملية التكون اللغوي في السودان . فهذه المنطقة هي البوتقة الحضارية التي تصب فيها شتى التيارات لتنصهر ثم تفيض في كل اتجاه وذلك بما أتيح لها من موقع جغرافي ممتاز يجعل منها نقطة التقاء لكل آت من شمال أو جنوب أو شرق أو غرب الى جانب اراضيها النيلية الخصبة التي ترفدها مساحات شاسعة من الاراضي المطرية الى شرق وغرب وجنوب . ومن هنا تميزت اللهجات في كل منطقة عداها بميزات لغوية واضحة تفرد بها عنها وتطبعها بطابع « اللهجة الخاصة » . ففي مناطق الشمال حيث تسكن بعض فروع المجموعة الجعالية كالشايقية والرباطاب والمناصير وغيرهم تضيق موارد الرزق وتتحصر في ضفاف النيل وجزره ولا تسمح قلة الامطار بالاستفادة من بعض الاراضي الطينية التي أبقى عليها زحف الصحراء الكاسح وكل ذلك الى جانب صعوبة المواصلات بسبب كثرة الشلالات في بعض مجرى النيل مما يعيق من « اقلية » اللهجة

الفصاحة التي قد تفوقها فيها أي لهجة قبلية أخرى بل من حيث نجاحها حضاريا في التأقلم في بيئة حضارية غنية بتراتها القديم فطوعت العربية وتمثلت من العناصر النوبية المحيطة بها ومن العناصر غير النوبية التي انتقلت اليها من جهات أخرى ما جعلها لغة عامة بلغ من حيويتها وقوتها انها طبعت معظم اللهجات الاخرى حتى القبلية منها الموعلة في صحرائها بطابعها فأصبحنا نرى معظم الاساليب التركيبية التي نجحت هذه اللهجة في استنباطها بحكم اتصالها بالعناصر غير العربية من نوبة وبجة وغيرها تنتقل الى هذه اللهجات الاخرى مما جعل الشقة بين معظم اللهجات العامية السودانية قريبة . وعلى هذا يستطيع الانسان أن يتحدث عن اللهجة العامية السودانية ككل وهو يقصد هذه اللهجة للنيل الاوسط بحكم تمثيلها للوضع اللغوي عامة وعلى اعتبار ان اللهجات القبلية او الاقلية الاخرى لا تصيف اليها جديدا ماعدا بعض المفردات الخاصة بالبيئات الرعوية أو الزراعية البعيدة عن النيل وبعض الظواهر اللغوية الاخرى التي لا تغير كثيرا من جوهر القضية .

والنتيجة التي نخرج بها من هذه الدراسة السريعة ان القبائل العربية النازحة قد وجدت نفسها في السودان في وضع تاريخي معقد استلزم منها التكيف الحضاري واللغوي فحدث تشكيل لغوي جديد نجم عنه بجانب اللهجات الخاصة في مناطق السودان المختلفة وضع لغوي مشترك في وسط البلاد شبه في بعض جوانبه بما حدث في جزيرة العرب حين فرضت الظروف التاريخية والحضارية على العرب وضعا مماثلا في ماضيهم البعيد . وهذا الوضع المشترك يحل من السمات ما يكسبه شخصية مميزة هي انعكاس للبيئة وللتاريخ وللشعر .

لقلة اتصالها بغيرها ومن هنا تفردت لهجات الشامية والرباط والمانصير بميزات خاصة بالرغم من قربها من بعضها بعضا وبالرغم من ارتباط هذه المجموعات الشمالية بأصلها الكبير الى الجنوب اذ كل هذه الفروع الجبلية لا ترتفع رطانة مثل جيرانها من الدناقلة والمحس والسكوت والكنوز الى الشمال . ومثل ذلك يقال عن القبائل المتبدية الى الشرق والغرب من مثل الشكرية والكواهلة والكبايش والبقارة وسواهم . ولكن كل هذه القبائل سواء آكانت مستقرة أم متحلة تتخذ قاسما مشتركا أعظم في مجال التفاهم اللغوي يصل بينها رغم الخلافات الأخرى التي تميز بعضها من بعض . ومن هنا صح للانسان أن يتحدث عن اللهجة العامية في السودان ككل معتبرا هذه الخلافات الصغيرة التي تميز كل لهجة عن الأخرى خلافات ثانوية لا تغير كثيرا من جوهر القضية وهي عومية اللغة العربية العامية السائدة في السودان ، كما رأينا من قبل .

وحين يحاول الباحث دراسة خصائص هذه اللهجة العامية السودانية فهو مضطر الى مقارنتها باللغة الفصحى المدونة في أمهات كتب اللغة بحكم الصلة القديمة بينهما ثم هو مضطر الى مقارنتها باللهجات العامية السائدة في العالم العربي المعاصر بحكم خضوعها جميعا لظروف متشابهة أثرت في تطورها وقربت ما بينها . ومثل هذه المقارنات هامة لا لفهم العاميات الحديثة فحسب وانما لفهم مجرى التطور اللغوي للفصحى ولهجات القبائل القديمة أيضا . فمما أكثر الفوائد التي نجنيها من وضع نتائج البحث اللغوي في العاميات الحديثة في خدمة الباحثين في حقل اللهجات القديمة . ومن القضايا الهامة التي تعترض سبيل الباحث في هذا المجال علاقة العامية بالفصحى : هل هي علاقة نسب كانت الفصحى فيها هي الأصل الذي تفرعت منه العامية أم ان العلاقة بينهما كانت علاقة جوار بمعنى ان العامية كانت لغة مستقلة منذ القدم الى جانب اللغة الفصحى ومن ثم سلك كل منهما سبيله المستقل في التطور والنمو بحيث نقول ان كثيرا من الظواهر اللغوية التي نشاهدها اليوم في العاميات لم تكن في

معظمها نتيجة لتطور لاحق ألم بالعربية في أقطارها المختلفة التي استقرت فيها قبائل العرب بعد عصر الفتوح وانما ترجع في أصولها الى لهجات قديمة كانت تعيش جنبا الى جنب مع الفصحى وابتاتال القبائل العربية التي كانت تتحدث هذه اللهجات الى المناطق المختلفة انتقلت لهجاتها معها الى جانب الفصحى لغة الثقافة والدين . ورغم ان الاجابة الشافية على هذه التساؤلات تتطلب بذل الجهود لجمع العاميات العربية وذلك يحتاج لزمان طويل الا أن الدارس يستطيع أن يذهب الى أن الصلة بين الفصحى ولهجات قبائل العرب كانت قريبة في جملتها ولم يكن الخلاف بينهما خلافا جوهريا خاصة والفصحى تضم في اطارها الكثير من لهجات العرب وكثير من ظواهر اللهجات شواهد في الفصحى (١) . وكثير من الوسائل التي تلجأ اليها العاميات الحديثة لتطويع اللغة من مثل القلب (٢) والادغام (٣) والحذف (٤) والنحت (٥) وابدال الحروف (٦) وسواها (٧) موجود في الفصحى ذاتها . والشبه الكبير الملاحظ بين العاميات الحديثة مما يوحى بقرب الصلة القديمة بينها وسر هذه الصلة ارتباطها بالفصحى فهي القاسم المشترك الأعظم بين المتكلمين بها . وحتى الظواهر المشتركة بين العاميات التي لا نجدها في الفصحى من مثل ترك الاعراب لا يقوم دليلا على

- (١) انظر مثلا مهدي المخزومي : في النحو العربي .
- (٢) مثلا قبط وجهه وقطبه ، وفطس وفطس اي مات وصاعقة وصاعقة وخشخشة ولعل ذلك من جراء اللهجات في سلب الفصحى .
- (٣) مثلا مددت ومديت وهو خلاف بين لهجتي تميم والحجاز ومثله تسهيل الهمز في قولك بشر وبير وسال وسال .
- (٤) مثلا امرأة قد تكون مرة .
- (٥) مثلا حبسل (في العامية حسب) .
- (٦) معظم وجوه الإبدال لها شواهد مثلا الهيدبي والهيدبي ، تلسم وتلسم ، تللع وتلالا ، كريد وكريم ، هرش وحرش ، فقش وفقس ، الهقعة والهقعة ، ودوغة ودوكة .
- (٧) مثلا زيادة حرف كقولك فطح وفلطح . والدراسات عن هذه الظواهر متعددة .

استقلالها عن الفصحى بقدر ما يؤكد ظاهرة لغوية في العربية ذاتها اذ الاعراب كان منذ القدم قضية شغلت بال العلماء والباحثين . والواقع ان التخلص من الاعراب كانت غايته التسهيل وسرعة التداول ولكنه حيث يخدم غاية محددة كالافراد مع التوكيد فان العامية تحتفظ به كما هو الحال في عامية السودان التي تحتفظ بتوئين النصب في مثل قولهم : كل شاة معلقة من عصباتها ، فلان واجلاء طيب .. الخ .

والواقع ان علاقة اللغة باللهجات في مثل هذه البيئة السريعة التغير التي تقوم حضارتها على الكلمة والتي نزلت معجزة رسولها في شكل كلمة لا تكون علاقة جامدة بل هي علاقة تأثير وتأثر ديناميكية ، وكان توحد العرب الكبير الذي أحدثه الاسلام مسا قوى من توحدهم اللغوي وأذاب كثيرا من الخلافات الجوهرية بينهم . ونتيجة للهجرات المتصلة لم يكن من الممكن للهجات القديمة ان تستمر على حالها القديم في المناطق الجديدة نسبة للتشتت الكبير الذي تعرضت له القبائل العربية في شرق العالم العربي وغربه وكل ذلك مما جعل احفاظ كل لهجة بساتها الميزة جسيما أمرا بعيد الاحتمال . فبقايا اللهجات لا بد ان تدخل في صراع مع بعضها بعضا ومع الفصحى وكانت نتيجة كل ذلك ما نراه اليوم في عالمنا العربي من لهجات اطارها العام عربي يستقيم في كثير من ألفاظه ومعانيه مع ما نجده في قواميس اللغة الى جانب ظواهر لغوية أخرى تختلف من لهجة لهجة ومن منطقة لمنطقة داخل اللهجة الواحدة باختلاف القبائل النازحة والبيئة التي استقرت فيها والظروف التي أحاطت بها . واللغة كائن حي يتطور ليواكب تطور الحياة والحياة التي واجهها العرب في بيئاتهم الجديدة تختلف عن حياتهم الصحراوية السابقة وتختلف فيما بينها ولا بد للغة من أن تعبر عن كل ذلك الاختلاف دون أن تفقد خواصها الأساسية . والواقع ان العربية احتفظت بكثير من قوالها وصيغها القديمة وعبرت بها عن كل ظاهرة كانت مألوفا لديها وحيث احتاج الامر الى التعبير عن مفاهيم غير مألوفا أو جديدة استعملت في كثير من الاحيان الصيغ القديمة لتؤدي معاني هذه المفاهيم

فكان الامر في اللغات وضع الخبر الجديدة في زججات قديمة .

وقد سقت كل هذا لأصل الى مرتكز أقيم عليه دعواي من وجود الفصحى في صلب العامية وان الفصحى تحور في البيئات المختلفة ليؤدي غايات الحياة والاحياء بطرق وأساليب متعددة وفيما يلي محاولة غير مستقصية لعرض سريع لجوانب من هذه القضية كما تتمثل في عامية السودان .

(١) الفصحى الذي بقي على فصاحته :

الظاهرة العامة التي يلحظها الناظر في عامية السودان بقاء كثير من الالفاظ والعبارات الفصيحة على حالها الاولى لانها تعبر في البيئة السودانية عما كانت تعبر عنه في البيئة العربية ويبدو هذا أكثر ما يبدو في البيئات البدوية سواء في شرق السودان أو غربه أو شماله فمعظم المصطلحات الخاصة بالحيوان - والابل بالذات - وما يتصل به من أكل وشراب وجري وزجر وحل وترحال ومرض وصحة وما الى ذلك ظلت في كثير من الاحيان على حالها الاولى . فأنت تسمع جميع الالفاظ التي كان العرب يطلقونها على بعراهم وصغارها من مثل الحوار والحاشي والفصيل والجدة والنتي (الثني) ، والرباع والسديس ، والظمء (الضمي) وأيامه فيقولون ربعت الابل اذا غبت يومين وشربت الثالث وخمست اذا شربت في يومها الرابع ، ويستعملون في المرعى ألفاظا دقيقة كقول الهنباي : الليلة الزمل صبحن سمان وبدشن أي يجشرون من جشر المواشي أخرجها للمرعى . وتصادفنا هنا معظم نباتات العرب من مثل السعدان والسحا والرمث (الرمت) والدرماء والثربة (التربة) والحلفاء (الحلفا) والحمرة والحدقوق الى جانب الفاظ أساسية كالجزة (الجزء) والعفاء في مثل قول ود شوراني : اب قنفة البجازي الصيف وبرعى عفاه أي عشب وفي الفصحى اعتفت الابل ليسس أخذته بمشافرها مستصفيه وعفت الارض غطاها النبات وقد تعني لفظة عفا في قوله ود شوراني الارض القفر (وهو معنى مذكور في المعاجم) ويوضح ذلك قول ود الفراش : سلام يا الصيد مشلاتو العفاية . وقول

الحار دلو : شئ تشبه بلا الجدي البنوم في عفاه . وهم ينهجون نهج العرب في الحلب وما يتصل به . قالت شعبة : وين اسيك يا ام ميخرا وروار . وقال الحميري (غرب كردفان) نحن عشاننا فوق ام ميخرا بهال . والميخري المؤخر وجاء في اللسان « ولناقة آخران وقادمان فخلفاها المقدمان قادماها وخلفاها المؤخران آخرها » قال « ويقولون مؤخرة الرجل آخره الرجل » . ويتحدث العرب عن الناقة الرؤوم التي تعطف على ابنها فتدر اللبن ويتحدث الحميري في الغرب وغيرهم عن الايرام . ويتخذون في البوادي البو لادرار اللبن مثلما كان يفعل العرب . قال البطحاني : من العاشق راحت الجثة فاضل البو وهو جلد الحوار يحشى تبنا أو غيره فيقرب من ام الفصيل فتتخدع وتعطف عليه فتدرو منه المثل العربي « فلان اخذع من البو » وقول أهل السودان « فلان راجلا بو » أي فارغ غير ذي خطر . وهم يعرفون العيمة وهي شهوة اللبن والعطش . ويعرفون الفيقة وهو اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين . قال الحميري : لبن الطائفة الفيقة السكر فوقا فقيقة . وقال الكباشي : سحرولي في شربة فواقي ، والفواق عندهم اللبن الحلو قبل أن تصر شطور الناقة . ويقولون ضرع محين أي ملو لبنا وذلك من الحينة أو الحين وقت حلب الناقة عند العرب . وفي القاموس « ومتى حينة ناقتك متى وقت حلبها وكم حينتها كم حلاها » قال الحميري (كردفان) ما بترضع كثير الحينة راوياها . وقل مثل ذلك في معرفتهم لالوان سير الابل وجريها من مثل الدعدعة (قال السكري : فات هسلت مددع وجوفو ماغي سيور) والدعداعة في غرب السودان الناقة السريعة . قال الكردفاني : يا دعداعة جربك من رشاشة معاكي (أي من أول الخريف) وكان العرب يحشون العائر بقولهم دع دع أي قم واتمش ودعدع عدا في بطة والتواء . ومثل الارقال (قال المحلق : منك الكربتيت في مثل قول الهنباتي : يوما كربتيت ويوما عشاننا ربيت . والهركلة ضرب من المشي عند العرب فيه اختيال وبطء . قال ود الفرائش : يهركل بي

تقول كدر النتيلة . وامراض الابل عربية مثل الجفار في قول الآخر : باصنط مثل جفر الجمال الرامي . وجاء في اللسان « جفر الفحل يجفر جفورا » انقطع عن الضراب وقل مأؤه وذلك اذا اكثر الضراب حتى حسر وانقطع وعدل عنه . قال ذو الرمة :

وقد عارض الشعرى سهيل كأنه قريع هجان عارض الشول جافر

ومثل السوفة في مثل قول ود شوراني : ضاع جمالن المارق سنان موسايف أي ان الرحلة اضاعت الجمال التي خرجت سسيئة وليست مريضة وجاء في القاموس : ساف المال هلك ووقع فيه السواف وهو مرض المواشي وهلاكها (قال ود النعيم الفادي : شوفتك تسند السوفة ام وتاتيو) .

وهكذا حيثما التفتنا نجد الالفاظ المعجبية حية كما كان يستعملها العرب حتى في الفاظ خاصة من مثل اصطلاحات الزجر والطرذ : دع ، لزجر الابل (وبعضهم يقول دو) ، وحو لزجر الغنم ويسيلها أهل السودان حي حي ويستملونها نداء ويقولون بس للقطعة وعج للنعاج وفي الفصحى عج الناقة زجرها بقوله عاج عاج . ويقولون حاو للحمير وذكر صاحب المقتضب : « قال في القاموس حا اذا دعا الحمار للشرب » . والعرب تقول أرار للضان والغنم مثل أهل السودان وأخ للجبل (ومثل ذلك في السروج والحوايا والسيور والغرض والاحقبة والجلود واجزاء الحيوان .. الخ) . ومعظم الالفاظ الدالة على ظواهر الطبيعة في بوادي السودان عربية فصيحة . فننازل القمر التي يعرف بها العرب الانواء ويسونها العين معروفة . قالت العبدلانية : يا مطر الخريف يا وابل العينة . وقال الرباطابي : تدق ريح الجنوب العينة رشت . وقال ود شوراني : وابل العينة مطر ديرانا القداما . جاء في اللسان « والعين من السحاب ما أقبل من ناحية القبلة وعن يسينها يعني قبلة العراق يقال هذا مطر العين وقال ثعلب اذا كان المطر من ناحية القبلة فهو مطر العين والعين اسم لما عن يسين قبلة أهل العراق وكانت العرب تقول اذا نشأت السحابة من قبل العين فانها لا تكاد تخلف أي من قبل قبلة أهل العراق » . ومن هذه العين البطين

وهناك الى جانب ذلك ألفاظ دقيقة المعنى تستعمل في نفس معناها القديم مثل كلمة قرزم (ف) قرزم الشاعر شعره جاء به ردينا ، والمقرزم الحقير اللئيم وفيها يقول الشاعر السوداني :

يا ماصع الرشاش الماك قرزين حاشا

ونجد اللهجة تحتفظ أحيانا لا بمعنى اللفظ فحسب بل بشكله الطاريء أيضا مثل قولهم عن أول من قول العرب عاما أول فاحتفظوا بالتونين مثلهم . وهذا التونين كما لاحظنا من قبل يستعمل في بعض المواضع مثل قولهم : جيتا جيت (جيدا جئت) الخ .

(٢) الاحتفاظ بظلال المعاني :

(ف = فصحي . س = عامية سودانية)

وفي أحيان كثيرة نجدهم يحافظون على المعاني المختلفة للكلمة الواحدة فكلمة الحور مثلا هي الحير في الفصحى ولها معنيان أولهما الحائط أو شبه الحظيرة أو الحصى وثانيهما مجتسع الماء . وفي المعنى الأول وهو الأشهر يقول الفنجري : ود خير طفر الحوش الكبير بحورو . وفي المعنى الثاني الدقيق يقول الحارذلو : اب سعنه الرشيد أرجاه حورو ملان ، يعني جبلا بالبطانة^(١) .

وقد مرت بنا من قبل لفظة جشر (دشر) في مصطلح الرعي ويبدو أنه كان لتلك اللفظة معنى قديم يذم به العرب من يستهينون به ويعتبرونه قليل الخطر وذلك لان الجشر من الرعاة كانوا يبيتون في مكانهم في الابل ولا يرجعون الى بيوتهم وقد ورد في شعر الاخطل :

تسأله الصبر من غسان اذ حضروا والحزن كيف قراه الغلة الجشر

وكان عير بن الحباب يقول لهذين البطين من غسان انما أتم جشر لا أبالي

(١) وقد يكون في هذه الرواية تصحيف، اذ وردت الكلمة خورو بدل حورو.

وهو نجم من نجوم السماء من منازل القمر والعرب تزعم ان البطين لا نوء له الا الريح وهو في السودان ثاني عين الصيف وأمطاره خفيفة لا يعتسد عليها في الزراعة ولا الري ولذلك قال المادح ود تميم : يا مولاي سألتك مدحي ينزل كيف وبأل الخريف مورش بطين الصيف . وقال الحمري (غرب كردفان) : وقت العيف توقف البطيني بسوق . وقد نظم كثير من شعراء البادية وعلى رأسهم ود شوراني وبعض شعراء الشكرية منظومات تناولوا فيها هذه المنازل الثانية والعشرين كالذراع (الضراع) والنترة (النثرة) والطرفة ، الجبهة ، الخريسان : الصرفة ، العواء ، السماك ، سعد ذابح ، سعد السعود ، سعد الاخياء ، سعد بلع ، الزبنان (بعضهم يسميه الزبران) ، الاكليل ، الشولة ، الثريا (التريا) ، الحوت ، الهنعة ، الدبران الخ . . وهكذا الامر في أسماء السحاب (الطخا والسواري مثلا) . والمطر (الوبل الغيث الحيا قال الحارذلو : فوق حيا فوق محل من الصعيد منجرة) ، والاهوية (الزيف ، الاعاصير ، الريح ويحورون الشؤبوب ليصبح الشهفوفة في معظم أنحاء السودان ويسمونه الشب في غرب السودان) . قال الحمري : (دا الشب البي بريريقو) . والشجر (السيسان ، الرتم نوع من الشجر واحدته رتمة قال ود الفراش : ود الاريل الفارب رتومه) . وألوان الارض والخضب (البوغاء ، المرنة) وهي الروضة والخضب عند العرب اذ يقولون « في المرنة لكل قوم مقنعة » وقال الشلهمة : وسيلك في علاوه والمرانع كاش . وقال ود الفراش : قصيبة المرنية النفي مرونا ، والهوبجة وهي الارض المرتفعة أو المطشنة : ومن ذلك قرية الهوبجي الاعداد جنوب غرب شندي والارض الهيج والبالجة .

ويقولون بتق النبات أي بتق ، ونجم النبات طلع فهو ناجم ، قالت بت ميسس : قولن حي عليه الناجم ولو كشيب . وقال الحمري : متيرب فسي البورة * يا النجم قندولا (اكسل نوه) . ومن ذلك سموا آلة الحش النجامة لانها تزيل النجم وهو النبت . قال الرباطابي : احبي زي النجم القش . والدر عندنا النبات ودر النبات عند العرب طلع .

(٤) تفرق المعاني في المناطق :

وقد نجد المعاني المختلفة للفظ الواحد مفرقة في مناطق متعددة فمثلا لفظ كبر الشجر بمعنى قطعه المشتقة من الكبر (ف) (نبات له شوك) منتشرة في معظم أنحاء البلاد ولكن معانيها الدقيقة نجدها في الشمال حيث يقولون الكبرة لباب الزربية من الشوك وفي البطانة حيث الكبرة كوم من الاغصان والاشواك اليابسة في الخلاء (ويجب ان لا يخلط كبر بكمبر بمعنى قطع لان القوم يستعملونه في قولهم كمبره بالسيف والمكمبر المشوه الناقص الاعضاء) .

ولفظه تنفن (س) من الثفنة بمعنى توهط في الارض واحتك جسمه بها من ثفت الناقة (ف) ضربت بثفنتها الارض . وهذا المعنى شائع في أنحاء البلاد .

والثفنة (ف) مستعملة في البوادي وغرب السودان . قال الحمري في جملة : كبّ البول على تفنك بسوى جهولا . وقال الحمري الآخر : ايدو تنفت مصروفة في الطاقية أي صارت كثفنة البعير واستعيرت الثفنة في وسط السودان لتعبر عن « عين السمك » ، ومن ذلك بهرج (ف س) تزيّن ولمع وهذا معنى شائع ولكننا نجد البهرجة (ف) بمعنى الجبن والعدول عن الجادة عند البقارة في قولهم « فلان ما بهرج يوم الدواس أي لا يجبن في الحرب .

ومن ذلك لفظه الرقبة (ف) بمعنى المكان الذي يراقب منه العدو فهي موجودة بهذا المعنى في غرب السودان . قال احد الرزيقات : (هي أنا) الرفيق الزين خير فوق الرقاب وهي تعني حفرة يرقب فيها النمر ليصطاد . وقد تكتسب اللفظة معنى جديدا وتحتفظ في ذات الوقت بالمعنى الاصلي . فلفظة زعل أصبحت تعني غضب في معظم أنحاء السودان (وقد ورد في التاموس زعل من المرض ضجر واضطرب) ولكننا لا نجد زعل بمعنى أزعج من المكان الا في بعض البوادي ومن ذلك قول الحارثي : جاهن زعلن بعد النهار ما فات يقصد ظباء .

(٥) مشتقات من الفاظ اندثرت :

وبعض الكلمات مشتق من ألفاظ اندثرت من العامة ولكنها موجودة في

بكم . ولعل هذا المعنى هو الذي قصده ود شوراني حين قال « في جملة : جايبو تعبنا وأمو ألي دشر لي ماصح . ولعل قول العبدلانية في رواية : ما تعزل الوجوه دفعك دشر سويه أدخل في هذا الباب وهي تعني لا يتخير لعطائه بل يجعله عاما (وفي رواية ضربك دشر سويه أي اجعله عاما) . ومن ذلك كبّ أهرق وقلب الاناء على رأسه وكبت (س) الراقصة أمالت رأسها للوراء والشعر الكبّتي (س) المسترسل ، وكابّة الخيل (س) ما يكبّهنّ (ف) .

ومن ذلك استعمالهم كلمة العربي في معنى الاعرابي وقد دم القرآن الاعراب أي المتبدين وجاء ذكرهم في الحديث وكل سكان القرى في معظم أنحاء السودان يسون البدو عربا ويطلقها أهل الشمال على البجة الذين ينزلون بهم للميرة . ومثل ذلك كلمة اضينة (س) وهي اذن (ف) وكان كفار قرش يتهمون النبي بأنه اذن . والقنف عند العرب صغر الاذنين ولصوقهما بالرأس وقلة شعر الرأس وكبر الانف ايضا وكلا المعنيين له شواهد . قال ود شوراني في جملة : أقنف وليه فطسة وسدره جابر . وقال الحمري : بت صقر العقال ماها ام قنفة غزال أي ليس لها أنف معوج كأنف الغزال .

(٢) الفاظ في مناطق بعينها :

وقد نجد كثيرا من الالفاظ الفصيحة خاصة ببعض المناطق دون غيرها مثل لفظه الرتج (شمال) وهي الرتاجة (ف) جمع رتائج الحجر ، وكلمة الشكوة (شمال) وهي تقابل المحفظة (المحفظة) في بعض المناطق الاخرى ، ومثل ذلك البرجاس (شمال) للمهر ، والرتمة (شرق وشمال) نبات ، والطربول (منطقة نوري) بمعنى اهرامات جمع طرايل . والطربال جمع طرايل كل بناء غال . قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٢٢٥ / ١) « الغريتان طربالان كان النعمان يلطخهما بدماء التملّى يوم يؤسه » ، وبة (بطانة) بمعنى السمين ويوصف به الاحق الثقيل : قال البطحاني : ماني غليدا ببة ❀ سديا رصع البة ، وكان لقب عبد الله بن الحارث ببة وكانت أمه ترقصه وتغني له بذلك . ومثل هذا كثير في جميع مناطق السودان .

الفصحى لفظة سنن بمعنى طرائق الكسرة مشتقة من قولهم جاءت الرياح سناسن أي على طريقة واحدة . ومن ذلك تحنّش إذا انتفش وغضب وهي من الحنّش (ف) حية خيئة إذا غضبت انتفخ وريدها . والسقط البرد (س) من السقيط (ف) الثلج . والرجل الجهامة (س) الضخم وهي مستعارة من الجمة (ف) القدر الضخمة ولا تعرفها العامة الآن . ومن ذلك حكل (س) أدخل ساقه بين ساقه . والحكل (ف) في الفرس رخاوة في كعبه . وخفج البقر الطين (س) داسه باظلافه وخفج البعير (ف) أصابه الخفج وهو ارتجاف في الرجلين . وفرب (س) قفز من الفرب (ف) حيوان من الفار واليربوع . والفرب (س) ضرب من الشراك والعلاقة بينهما واضحة .

(٦) الفاظ ضاعت من الفصحى :

وبعض الألفاظ احتفظت به العامة واندثر من الفصحى مثل لفظ سجم (س) (السواد والرماد) الموجود في عامية السودان ، ونجد في الفصحى سجم وسجم بنفس المعنى . ومثل ذلك جغم (س) شرب وهذه اللفظة موجودة في عامية الشام والمغرب ولا نجدها في الفصحى وإن وجدنا ججم (ف) إلى اللحم اشتدت شهوته إليه . وقد ورد برعمة وبرهمة بمعنى واحد وهو مجتمع ورق الشجر (ف) ووردت البرهمة بمعنى ادامة النظر وسكون الطرف ولم تورد القواميس العربية البرعمة في هذا المعنى الثاني ولكننا نجد البرعيم في البطانة في نفس هذا المعنى .

(٧) الفاظ ضاع معناها :

وهناك ألفاظ نستعملها ولا ندري معناها مثل الكبّة في قولك الكبّة التّع فيك (س) وهي في الفصحى الثقل يقولون (ف) ألقى عليه كبته أي ثقله . وكثير من مثل هذه الألفاظ استمرت على اللسان لارتباطها بأوجه من النشاط قديمة مثل قولهم في الاحاجي : حجيتك ما بجيتك (بيجّ لمن « ف ») ، وقولهم في لعبة العميان : انا ما بشوف بعط الصوف (وعمت

الصوف (ف) لفته مستديرا ليجعل في اليد فيغزل . وهناك لعبة بدوية تسمى أربشى يقولون فيها أربشى بعشّي ويفوز فيها اللاعب إذا سقط الودع على الأرض بطريقة خاصة فكأنه يبدو مختلف الألوان وهو معنى الربشة (ف) ، ولعلّ قولهم حشرت الشيء ربّ ورأس (س) أنك أضعته رباه (أي فائدته) ورأسه (أي رأس المال) . وكثير من ألفاظ النساء من هذا القبيل : مثلاً كرايمة من الكره وهو المكروه ، وبري (انا بريئة مما أقول) وأجى (كأنها اختصار ل : أجيء بشئ هذا ؟) .

(٨) دلالات جديدة :

وقد اتخذت بعض الألفاظ دلالات جديدة قد تقرب من الأصل وقد نبت . فمن هذه الدلالات القريبة من الأصل قولهم بقّ النور (س) من بقّ النبت (والتحول الحضاري واضح) ، الانسّر (س) الذي لا يسجم مع الآخرين في الغناء أو الصنف وهو (ف) من كان جفن عينه منقلبا أو مسترخيا ، الحنيش (س) قذر يعلق بغلفة الصبي من الحشن وذلك من حشن السقاء (ف) إذا أتن لكثرة حقن اللبن فيه ، الصقر (س) من الصقرة (ف) اختلاط لون الطائر خضرتيه أو سواده بحمرة أو صفرة ، الجفّة (س) المرأة المترهلة المكتهلة وهي (ف) الناقّة المسنة ، فشّ مفسّته (س) شفاها وهي من فشّ الوطب (ف) أخرج ما فيه من الريح والرجل تجشأ ، والاستعارة واضحة ، السبيطة (س) عنقود التمر أو الموز وهي من السبطة (ف) الشجرة لها اغصان كثيرة وأصلها واحد ، حلقم (س) تكلم ملء حلقه (ف) قطع حلقه ، رمرم (س) أكل هنا وهناك وهي من رمرم (ف) فتح فمه للكلام ولم يتكلم .

وقد تكون الدلالة بعيدة مثل الضهل (س) الشره والضهل (ف) الماء القليل . والنفر (س) الواحد وهي (ف) بين الثلاثة والعمرة ومنها النفر (س) اشتراك الجماعة في العمل تطوعا . ومن ذلك نقل المعاني الحسية إلى

دلالات معنوية مثل قولهم (س) سرّ الولي بائع وهو من بشع (ف) اشتدّت
عنفه أو مفاصله فهو ابتع وبتع بأمره انفرد به ، رجمه (س) رماء بكبيرة
وهي من الرجم الرمي بالحجارة سخسخ (ف) الأرض المينة يقولون فازن
سخسخ أي متهاك مرتعش .

وقد تنقل المعاني المعنوية إلى أخرى حسية من مثل قولهم زنّ بريسة
(ف) زنّ الحجر (س) رماء ، بطنبط (ف) ضعف رأيه تصبح (س)
ضعف وتهاك جسده ، السخّ (ف) صاحب الجود والسباحة (س) الجليل ،
السرف (ف) تجاوز الحد والاعتدال (س) مكان تتجمع فيه المياه ، ومه
السرف الاناء (س) امتلاء .

وبعض الألفاظ المطلقة المعاني تتخصص دلالاتها : فالجلبة (ف) الضجة
عامة ولكنها تصبح ارتجاج السائل (س) ، والدبيب (ف) كل داب من
الهوام ولكنه يطلق على الثعبان (س) ، وشلق (ف) شق أو خرق طولا
تصبح عليّة جراحية في العين (س) ، حوّل (ف) حفظ وتعهد ولكنها
تعني (س) رقى وعزم على الأمر الضائع بغرض إرجاعه ، الجبر (ف) برود
السن ولكنها تصبح (س) لبوس الخيل . الججم (ف) انتحرق والشوق
تصبح الشره (س) . الدغش (س) الفجر وهي من قولهم (ف) دخل
في الدغشة أي الظلام ، الدغيل (س) من المكان الدغل ذو الدخل الخفي ،
حنجر (ف) ذبح تصبح ذبح بطريقة غير شرعية (س) .

وبعض الألفاظ المحددة المعاني تتوسع مدلولاتها وتصبح عامة : مثلاً
جدع (ف) أهمل الرضاع تصبح رمى (س) ، والسر (ف) خلوص النسب
تصبح النسب عامة : هو سرى أي قريبي (س) ، الدردح (ف) الرجل
المن منها الدردحة (س) طول التجربة والمعاناة ، الفنجري (س) الظريف
المتأنق والفاخرة (ف) الخيالة الحاذقون في ركوب الخيل .

وقد تكتسب الألفاظ معاني جديدة منتزعة من المعنى الأصلي فالجبار

(ف س) العاتي وهي أيضا (س) البخيل . والجبان (ف س) الرعيد
وهو أيضا (س) البخيل . وقد تعكس المعاني مثل خنزيرة البشر (ف)
الطار في فم البئر وفي بعض مناطق السودان يكون في قعر البئر ، وجنح
الطائر (س) قص جناحه (ف) جعل له جناح .

وقد حوّرت كثير من الألفاظ البدوية لتلائم حياة الحاضرة مثل الرصاص
في سقوف المنازل وهي أعمدة خشبية (س) كانت في الأصل حجارة لاصقة
بحوالي العين الجارية (ف) ، ومثل ذلك السام (ف) الحفرة على الركية
أصبحت الحفرة التي تشق نوضع أساس البيت عليها (س) ، ومثلها درقة
البيت (س) من الدرقة (ف) الترس ، والترس (ف) المجن أصبح الترس
حائط التراب الذي يحفظ الماء في الأرض الزراعية (قارن لفظة ترس الاوربية)،
الدقلة (ف) الشاة الضاوية اطلقت على البطيخة الصغيرة (س) ، الرفرف (ف)
جوانب الدرع وما تدلى منها أصبحت الاطار على جانبي العربة (س) ، الجلة
(ف) القفة الكبيرة (س) القطة الكبيرة من الحديد والقبلة ، فنّ الابل
(ف) طردها (س) فنّ الحجر رمى به .

(٩) مشتقات :

وقد اشتقت العامية كثيرا من الألفاظ الجديدة من أصول قديمة مثل لفظة
البياح (س) للفجر من باح (ف) ظهر وطلع وكانت العرب تسمي الشمس
بوح لظهورها . وفي غرب السودان يقولون بوح . قالت الحصرية : يا قسر
التسوع دا البوح ، ويقولون البواح كما ورد في الاغنية الحصرية : من طلعة
البواح لي نوم عيوني انزاح ، ومن هذا قولهم (س) بوبح وبوبى : القسر
بوبى أي ظهر واكتمل . الرشرش (س) من رشت العين اضطربت (وهو
الرمش) ، خوجلي اسم علم من خجل (ف) أشر وبطر ومرح وفلان يشي
الخوجلي (ف) وهو مشي النساء بتكسر . واستعمال هذا الفعل موجود في
شمال البلاد كما ورد في قول الشايقية : خوجلن الصقار * فوق شلوخ كرار،

وفي قول الرباطي : أبوانك تخوجل فوق عروضاً • والحديل (س) الجزء أمام الخية وهو من حدل إذا أشرف أحد عاتقيه على الآخر فسال فهو أحدل (ف) ، الرسوة (س) من الرسغ (ف) ، والفعل مردغ من ردغ (ف) ، جوده بالسوط (س) من جود المطر (جاد أي صب صبا عنيقا) ، دوعسل الماشية (س) اعتنى بها وتولاها بالغذاء وهي من الدعلج (ف) الجوالق الملاك والنبات الملتف ، حدر (س) نظر وقطب ما بين حاجبيه ولعلها من الناقة الحادرة العينين (ف) ، الدغور (س) من دغرت الام ابنها أرضعته فما أروته ، الحريف (س) البارح في العمل لعلها من الحرفة (ف س) أي المهنة أو من الحريف (ف) الطعم يلذع اللسان بحرارة •

وهناك ألفاظ خاصة استعملت في السودان بدلا من ألفاظ أخرى مشهورة عند العرب • فالأداة (وهي من الاداة فيما ذكر الدكتور عبد الله الطيب) هي الاثنية ، وشليل (من شل أي طرد) لعظم وضاح اللعبة التي كان يلعبها الرسول في صباه ، الحنبل في بعض مناطق السودان لقوس فرح وهي استعارة من الحنبل (غرب) قماش عريض لبيوت العرب ولعله ملون وذلك من الحنبل (ف) الفرو القديم •

وفي بعض الاحيان تختلط اللفظة الفصيحة بأصول غير عربية مثل القرباب (س) من القرب الخصرة والمقطع آب التبدوي الدال على النسبة والكلمة تعني نطاق المرأة ، والدعكاب (س) القتال من دعك (ف س) ، والدكناب (غرب) الغبار من دكن (ف) مال الى السواد ، الكترابة (س) من القتر (ف) الغبار •

(١٠) تفسيرات في بنية الكلمة :

وقد تعرض كثير من الالفاظ الفصيحة لزيادة بعض حروفها أو نقصانها أو قلبها كما يظهر في الامثلة التالية :

الزيادة : سهجت الريح اشتدت الريح وهبت (ف) تصبح سهرجت اذا اشتد لهيب النار وهبت عليها الريح (س) ، الدبلة (ف) (مرض) تصبح دوبال (س) ، تسلطت تصبح تسلط (س) ، وسرر (ف س) تصبح سسرك (س) ، ابتسم (ف س) ابتسم (س) ، ابل (ف س) البل (س) ، طوَح (ف) طوطح (س) ، الدهس (ف) الدهسير (س) نبات ، حسك (ف) حسكيت (س) ، حسق (ف) حسيق (س) بلط (ف) بلبط (س) ، دوارة (ف) دودار (س) •

النقصان : اسفنج تصبح سفنجة ، خشعة تصبح خشة (ما تكاثف من الشجر) ، اجبر تصبح جبر (وثب) (س) ، أساس البيت (ف س) ساس (س) ، مرحبا بك (ف) حبابك (س) ، السيائة (ف) السيس (س) (القفر) ، بجباح (ف) بابج (س) ، بابوس (ف) بابو (س) ، مك (س) ملك (ف س) •

الاببدال :

١ — قرأ تصبح قرع أي جمع وهي لفظة قديمة وردت في تفسير لفظة قرآن وكان العرب يقولون لم تقرأ الناقة سلى وقرأ الماء في الحوض أي جمعه •

جأر (ف) جعر (س) •

٢ — بهت (ف) بهط (س) •

٣ — أولاد الحنث (ف) أولاد الحنوت أي أبناء الزنا وفي الحديث « يكثر فيهم أولاد الحنث » • شبت تصبح شبت للنبات المعروف ولكن الشبت وهو العنكبوت تصبح شبشة ، الثلة (ف) الشلة (س) ، حثرب (ف) حثرب (س) ، شدة (ف) تدة (س) : الشعثة (ف) الشعفة (س) وأهل الغرب يقولون شعثانة بمعنى حقانة •

٤ — فشج تصبح فشق ، والنجة تصبح النقة ، الجورب (ف) شراب

والوجه تصبح الوش ، وقد يعكس خرمنش (ف) خرمنج (س) ، دهق (ف) دهج (س) ، جحش (ف) دحش (س) .

٥ - حترش تصبح هترش ، وحزمة تكون همزة وقد يعكسون الهمط تصبح الرحط والهلو ف تكون الحلو ف ، رشح (ف) رشح (س) ملا .

٦ - دارأ (ف) ضارى (س) ، درفة (عاميات) ضلفة .

زغرد (ف) زغرت (س) ، خديجة (ف) خجيعة ، دجاجة (ف) جدادة (س) .

٧ - ذناب تصبح ضناب ، ذيل : حاذق : حادق ، جبذ (ف) جيد (س) .

٨ - رنق (ف) لرق (س) ، رخ العجين (ف) رخ (س) . شمروخ (ف) شملوخ (س) ، وقد تعكس : ياليت (ف) ياريت (س) ، بلا (ف) برا (س) .

٩ - سخط (ف) شخط (س) ، شرسوف (ف) شرسوف (س) ، ومثله فقس (ف س) فقس (ف س) ، سبق (ف س) سبق (ف س) سرفقة (ف) سرفقة (س) ، سق (ف س) زقف (س) ، سعف (ف س) زعف (س) .

١٠ - نفض اللون (ف) نفد (س) حال ، خاض (ف) خاد ، شرط (ف) زرط (س) .

١١ - بطنه (ف) بته (س) ضربه ، خبط (ف) خبت (س) ، طلع (ف) تلح (س) ، ملش (ف) تلش (س) .

١٢ - ظلع (ف) ضلع (س) .

١٣ - تشعنت روحه (ف) برّح بها الشوق تصبح تشحتفت (س) .

١٤ - غنم (ف) عند بعض أهل العرب خنم .

١٥ - بزق (ف) بزغ (س) ، بقر (ف) بقر (س) ، وقلب القاف غينا نادر .

١٦ - قتل (ف) كتل (س) ، عنقش (ف) عنكش (س) ، دكاس (ف) دقاس (س) ، قتاد (ف) كداد (س) .

١٧ - لعله (ف) نعله (س) ، لفظه (ف) تفضه (س) ، اسماعيل (ف س) سماعين (س) ، وقد يعكس ذلك نارنج (ف) لارنج (س) .

١٨ - فاطمة (ف) فاطنة (س) ، دهمسة (ف) دهنسة (س) ، والنون والميم تتبادلان في مثل قبور وقبور ، بنبر وبمبر وشنباني وشنباني ، حضرمي (ف) حدرمي (س) ، مكان (ف س) بكان (س) ، سنام (ف س) سنا ب (س) وقد يعكس ذلك في مثل ابن عمي لزب (ف) لزب (س) وقد فعلت العرب ذلك في مثل حثربة (ف) حثرمة (ف) شساقة (ف) شلاق (س) ، شماطيط (ف) شلاتيت (س) .

١٩ - سندان (ف) سندالة (س) ومثل هذا كثير في النصحى والعامية مثل عنون (ف س) علون (ف س) . ويقولون في نظرون (ف) عطرون (س) (قارن أنطى وأعطى وهذا مستعمل في السودان) ، تقص (ف س) بقص (س) .

٢٠ - يافوخ (ف) نافوخ (س) ، يتم (ف س) اتم (س) .

٢١ - وتخضع حروف اللين لتغييرات كثيرة : ويب (ف) ووب (س) ، الشرى (ف) الشرهان (س) لكن شرى العيش (ف س) ، السداة (ف س) السداية (س) ، أين (ف) وين (س) البواح (ف) البياح (س) سعلاء (ف) سعلوة (س) .

القلب :

شعل (ف) شلع ، ضجم (ف) جضم (س) ، فهق (ف) فقه (س) ، عيام (ف) بعام (س) ، بت (ف) تب (س) ، لعن (ف س) نعل (س) ، جلدة (ف) دلجة (س) ، نضج (ف) نجض (س) ، راد (ف) دار (س) ،

خنخ (ف) نخخ (س) ، كندوج (ف) دنكوج (بقارة) مكان مؤقت للصائدين أو قطية ، وقد تلتبس اشكال الكلمات من جراء الابدال والقلب مثلما حدث للفظه شخلوب التي تعني فرع من سبيطة التمر وتعني في نفس الوقت السط والعقد وهما في الاصل البعيد مختلفتان . فالشخلوب بمعنى سبيطة التمر مقلوبة عن شخلوب وهذه مبدلة من شنخوب والشنخوب في الفصحى أعلى الجبل ورأسه وذكر الازهري في اللسان المشنخ من النخل الذي تقح سلاؤه وقد شنخ نخله تشنيخا (مادة شنخ) . أما الشخلوب بمعنى العقد والسط فهي من شخلب . قال الليث في اللسان « مشخلبة كلمة عراقية ليس على بناء شيء من العربية وهي تتخذ من الليف والخرز أمثال الخرز . قال وتسمى الجارية مشخلبة بما يرى عليها من الخرز كالحلي » . قال الرباطي : دابر انط السام دردرب * وامسك الشخلوب واقرب ، وقد جاء في أغانيهم (شال) على لسان ساحر : انا ديوب * أنا أخو أم شخلوب .

(١١) العاميات العربية :

وعلاقة عامية السودان بالعاميات الأخرى واضحة وتختلف الصلوات من منطقة لأخرى . ففي غرب السودان مثلا يقولون زرط بمعنى بلع وهكذا يقولها المغاربة وأهل الشام وهي لفظة آرامية قديمة زلط (وهكذا ينطقها أهل مصر) أي بلع ، وهم يقولون جاهل (س) للطفل وهكذا يستعملها أهل اليمن ، وفي شمال السودان الكلع (س) الخضية وهي بنفس هذا المعنى في عامية اليمن الحديثة وهذا المعنى غير موجود في القواميس الحاضرة ولعل ذا الكلاع الحاكم اليمني القديم من هذا لا كما ذكر صاحب اللسان وتاج العروس ، وكان أهل صقلية يقولون مسيد بدل مسجد كما يقول بعض أهل السودان ، ومعظم العاميات تقول شنب للشارب وهو لفظ لا يحمل هذا المعنى في الفصحى ومثل ذلك شاف بمعنى نظر والمشوار . وفي غرب السودان يقولون البرعص لحيوانات صغيرة وهي لفظة آرامية قديمة موجودة في عامية الشام (برعط) ، والبراد في

الفصحى للتبريد ولكنه في بعض العاميات (المغرب مثلا) مثل السودان للتسخين ، ومن هذا القبيل لفظة الرششة (س) وهي حلية مكونة من سلسلة دقيقة من الذهب يقلد احد طرفيها بالزمام ويشد الطرف الآخر على شعر الرأس أو ثقب الاذن ، والرششة (س) أيضا وشم على الخد . والمعنى الاول آرامي وهو مستعمل في لهجة الشام ويعني رسن الدابة والمعنى الثاني عربي فصيح لفظا ومعنى . وهذا الباب واسع .

المحتوى

صفحة

٣

مقدمة

٥

اللغة وشخصية الامة

١١

اللغة والثقافة

١٩

اللغة والبيئة

٢٥

العامية في السودان

٤١

الشخصية اللغوية للهجة العامية السودانية

٥٧

بعض مظاهر الفصحى في عامية السودان

كتب اخرى للمؤلف

١ - كتب المطالعة الاولى في السودان (بالاشتراك)

٢ - دبلوماسية محمد

٣ - من قضايا البعث الحضاري

٤ - شعر البصرة في العصر الاموي

٥ - قاموس اللهجة العامية في السودان

٦ - في معركة التراث

الطبعة الأولى
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الدار السودانية للكتاب

(الخرطوم - شارع البلدية
ص ب (٢٤٧٣) تلفون (٨٠٠٣١)
برقيا : توديسدار

٢٥٠ ملجم